الكاتب

للثقافة
الانسانية
والتقدم

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

١٣٤

تموز ١٩٩١
- السنة الثانية عشرة -
No. (134) July 1991

الثمن: ٤ شيكل

- بلكس المطر. الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة.
- وبا الي هل جاوز الظالمون المدى؟. سيمودراما عبد الله الكبير.
- الصراع العربي الافريقي على مياه نهر النيل. المياه في قطاع غزة.
- مستويات الخطاب في "مأساة السرجي ومسعدة الخصي".

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٣٤) تموز ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة - No. (134) July 1991

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

هذا العدد

- مكمن الخطر. اسعد الاسعد ٢
- اكاذيب وحقائق تشهدها الكويت! .. ويا اخي هل جاوز الظالمون المدى؟ د.اسعد عبد الرحمن ٤
- وحملة عام ١٩٩١ من اجل النساء» ٨
- المياه في قطاع غزة. عبد الرحمن التميمي، اياد حلس ٩
- الصراع العربي - الافريقي على مياه نهر النيل. احسان مصطفى ١٤
- المشروع القومي العربي وتحرر الوطن العربي اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا. محمد داود ١٨
- قائمة بأسماء شهداء الشهر الثالث والاربعين للانتفاضة ٢٢
- مستويات الخطاب في قصيدة «مأساة النرجس وملهاة الفضة» د.عبد الكريم ابو خشان ٢٣
- خرافية سرايا بنت الغول/سيرة ذاتية. د.ابراهيم العلم ٢٨
- الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة. عبد الله جرادات ٣١
- خطوات الى الخلف في نهاية القرن العشرين. د. وائل ابو عرفة ٣٨
- حوار مع الفنان التشكيلي كريم دباح. علي الجريري ٤٠
- الحضارات الفنية عبر العصور (١) فن القدماء قبل الميلاد فاطمة المحب ٤٣
- مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني، بعض الجوانب الفنية. كامل الباشا ٤٦
- مينودراما عبد الله الكبير. الكاتب ٥١
- مسلسل الوسية وقمة التحدي المكتوب غ الجبين. ماجدة موريس ٥٤
- قمة قصيرة. صفاء عمير. جي دي موباسان ٥٧
- شعر. عيسى بشارة، خالد عوض ٦٢
- نحو قارىء مغاير .... وسيم الكردي ٦٤

لوحة الغلاف للفنان الفلسطيني جمال الافغاني

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٧٥	١٠٠
للمؤسسات	٥٠	١٥٠	٢٠٠

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 856931

أول الكلام

يعد أن "تحررت" الكويت، بعون الله، وفضل الامريكان، يمضي الصباح، في اجراءات البحث والتفتيش، عمن تعاونوا مع "الاحتلال الاجنبي البغيض"، سواء اولئك الذين قدموا الطعام للجنود العراقيين، او الصحفيين الذين عملوا في صحيفة النداء التي صدرت في الكويت لفترة وجيزة، وربما لكل من رد التحية لأحد الجنود العراقيين. وقد أصدرت المحاكم الكويتية عشرات الاحكام القاسية بحق مؤلاء، وبضمنها عشرات أحكام الاعدام، ولعل أكثر ما يميز هذه الاحكام، انها طالت عددا كبيرا من الفلسطينيين، فهم أسهل جهة يمكن القاء المسؤولية عليها، في كل ما يجري في هذا العالم، ولذلك، يجري التنكيل بهم أينما وجدوا، ليكفي أن تعترف بأنك فلسطيني، لتنال عقابك.

وكل ذلك يجري تحت سمع وبصر "المدافعين" عن حقوق الانسان، المتباكين على عروش ملوك النفط وامراء بني نفط في الجزيرة العربية. ولم لا، فان فهوة النفط تحدد مفهوم حقوق الانسان! هذا هو منطق العصر الامريكي، المفعم بالنفوة والدفاع عن حقوق الانسان، ومن لا يصدق، فليقرأ مواقفهم ازاء الخليج والعراق والاكراد وكذلك الفلسطينيين وضحاياهم وعشرات القضايا الاخرى.

المحرر

Digitized by Birzeit University Library

مكمن الخطر!

اسعد الاسعد

مرة اخرى، وبشكل يجب ان لا يدع مجالا لشك احد، فيما سبق وقلناه، عن ان السياسة الاميركية ازاء الشرق الاوسط، لا تخرج عن اطار التفاهم الاسرائيلي - الاميركي، وهو الاقوى، من بين احداثيات السياسة الاميركية، وعلاقاتها مع دول المنطقة كافة، وقد جاء هذا التأكيد، في نتائج الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الاسرائيلي دافيد ليفي لواشنطن مؤخرا، حيث اكد الجانبان على تقارب كبير في الاسس التي يجب ان يقوم عليها السلام، واهمها، عدم الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، او اي طرف فلسطيني آخر، بشكل مستقل، وقد ورد في الرسالة التي حملها دافيد ليفي للرئيس الاميركي جورج بوش من رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير، التزام الحكومة الاسرائيلية بما تم الاتفاق عليه، مع وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر، في زياراته السابقة لاسرائيل.

والجانب الاسرائيلي لا يترك فرصة الا ويؤكد حرصه على السلام، والدليل على ذلك، ما يجري في الاراضي الفلسطينية المحتلة، اذ ان هذه الاراضي، تشهد حملة استيطانية مسعورة، لم تشهد مثيلا لها منذ الاحتلال الاسرائيلي لها في العام ١٩٦٧، ولعل «زلة» اللسان، التي وقع فيها وزير الخارجية الاميركي، جيمس بيكر، حيث قال «ان الاسرائيليين كانوا يستقبلونه بمستوطنة جديدة، في كل زيارة لاسرائيل»، تحمل في طياتها ، التعبير الواضح عما يجري، وعما ترمي اليه الحكومة الاسرائيلية.

وان كانت هناك بعض الاشارات الاميركية احيانا، توحي بخلاف الادارتين الاميركية والاسرائيلية، فهي في واقع الامر، ليست اكثر من توزيع للادوار، يفهمه كل طرف منهما وليس هناك خلاف في الجوهر.

ويبدو ان ميثاق الليكود الجديد، والذي يؤكد «ان الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، والواقعة غربي نهر الاردن، هي جزء من ارض اسرائيل»، ما يؤكد الموقف الاسرائيلي من تسوية الصراع العربي الفلسطيني - الاسرائيلي، وما عدا ذلك فهو مجرد كلام في كلام، ومضيعة للوقت. والادارة الاميركية لا شك تدرك ذلك، وتسعى الى تسهيل الوصول اليه وتحقيقه، ووفق هذا الواقع، فان الادارتين الاميركية والاسرائيلية، تسعيان معا الى حل القضايا بشكل ثنائي، من خلال التعامل مع الطرف العربي، على انه اطراف مختلفة، ولكل طرف قضية مختلفة ايضا، اذ ان من شأن ذلك، ان يفتت القضية المركزية، دون ان يمس جوهرها، وعليه، فان ادراك الجانب العربي لمخاطر الانجرار وراء مثل هذا التوجه، سوف يؤدي بالضرورة الى عدم الوصول الى الحد الادنى من المطامح القومية والوطنية العربية، وللحيلولة دون ذلك، يجب العمل، وبشكل سريع، لجسر الهوة بين الدول العربية، وخصوصا تلك المحيطة باسرائيل، والمعنية بحل قضاياها مع اسرائيل، بحيث يتم التعامل مع القضية على انها سلة واحدة، مركزها القضية الوطنية وحقوق الشعب العربي الفلسطيني، وبدون مشاركة حقيقية لهذا الطرف الاساسي، لا يمكن حل اي من

Digitized by Birzeit University Library

القضايا الاخرى.

ولا شك في ان الظروف الآن، اكثر مواءمة لمثل هذا التحرك، اذ ان مصر وسوريا، وهما الدولتان العربيتان اللتان تحالفتا مع الولايات المتحدة وحلفائها في الحرب ضد العراق، اكثر تفهما لفعلتهما، حيث لم تترك الادارة الامريكية في تعاملها المزدوج والمتناقض، مجالا للشك في عدم مصداقيتها، وهي في سعيها ونهجها هذا، لم تترك مجالا لحلفائها العرب، لحفظ ماء وجوههم، والدفاع عما فعلوه، مما جعل الامر اكثر صعوبة امامهم، ولعل هذا ما دفعهم الى السعي وراء محاولات جسر الهوة فيما بينهم وبين اطراف عربية اخرى، اختلفت معهم في الموقف من حرب الخليج، وعلى رأس هذه الاطراف، الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وان كانت صورة الواقع العربي بمجمله، تبدو اكثر سوداوية من اي وقت مضى، فان هذا الواقع، يجب ان لا يكون مدعاة لاحساس قاتل بفشل اي مسعى للخروج منه، او تغييره على الاقل، او حتى التقليل من حدته، ذلك ان عناصر الخروج من هذا الواقع، لاتزال متوفرة، واهمها، ادراك المخاطر المترتبة على استمرار الهوة القائمة، بين الدول العربية، مما لايزال يسمح باللعب مع كل دولة عربية على حدة، بمعزل تام عن الدول الاخرى، ولا شك في ان القبول بهذا المبدأ، من شأنه ان يضعف الحوار مع كل بلد عربي على حده، بل انها تحاول جاهدة، فتح حوار مع الدول النقطية، والابتعاد عن جوهر المسألة، المتمثل في القضية الفلسطينية، والادارة الاميركية من جانبها، تسعى هي الاخرى الى مساعدة اسرائيل في الوصول الى هذا الهدف، رغم محاولات ايهام العرب، بغير ذلك.

من جانب آخر، فان الاخطاء لاتزال محدقة بالفلسطينيين وقضيتهم الوطنية، وان كان ما جرى في لبنان، ويجري حتى الان، ليست جزءا من ثمن يدفع لتشديد الفاتورة السورية، فان الامر يتطلب اظهار المصداقية في التعامل مع الفلسطينيين، بمعنى آخر، على الاطراف كافة، وبضمنهم سوريا، اظهار حسن النية تجاه الفلسطينيين، وقضيتهم الوطنية، اذ ان المعطيات والمؤشرات كافة، لا تطمئن ابدا.

وربما كان الجمود، الذي اعترى العلاقات الفلسطينية - السورية، بعد التفاؤل الذي خيم على الجميع، غداة زيارة الوفد الفلسطيني لسوريا، واحدا من اسباب تعميق هذا الشعور فقد مضى شهران على ذلك اللقاء، دون ان تبدو بارقة تشير الى تقدم في اتجاه اعادة العلاقات الحسنة بين الطرفين.

على صعيد آخر فان التراجع الواضح، في تحرك المسيرة السلمية، كان متوقعا، مواقف الدول العربية، ويسحب منها اوراقا كثيرة.

واسرائيل - الشريك الغائب في حرب الخليج - تدرك ذلك جيدا، وتسعى الى في ظل عدم مصداقية التحرك الاميركي، منذ البداية، اذ ان السلوك الاميركي، لن يؤدي الا الى الفشل، وعدم تحقيق شيء، مهما كان ذلك الشيء، وان كان لدى البعض اوهام اخرى، فتلك مصيبة، فتحقيق حل للقضية الفلسطينية، على يد الاميركيين، يعني انهم لم ينتصروا في حرب الخليج، ومهما يكن من امر، فان الحل، يتناقض وما وصل اليه الاميركيون، وما يتطلعون الى رسمه وتحقيقه، وعليه، فان المعنى في التعلق بهذا الوهم، ليس الا مضيعة للوقت، واهدار للطاقات، وعلى الاطراف العربية المختلفة، ان تدرك هذه الحقيقة، وان تكف عن سياستها وعن سعيها الى حل مشاكلها، دون النظر الى مشاكل الاخرين، ودون ربطها بهم، فبرأيي ان القضية العربية، واحدة، مرتبطة اساسا بالقضية الفلسطينية، ويجب ان يدرك العرب عموما، ان قضاياهم، تمر عبر قضية الشعب الفلسطيني، وبالتالي، يجب التوجه معا، والاتفاق مع الفلسطينيين وقياداتهم السياسية منظمة التحرير الفلسطينية، لوضع سياسة واضحة، واستراتيجية محددة، ومواقف تحكم السلوك العربي العام، وبذلك فقط، يمكن ان يتحقق شيء ما في الاتجاه الافضل.

*****

Digitized by Birzeit University Library

... ويا أخي، هل جاوز الظالمون المدى؟

د. أسعد عبد الرحمن

يعتز الينا د. أسعد عبد الرحمن عدة مقالات تتناول أوضاع المعارضة الكويتية والمعاملة السيئة التي يتعرض لها الفلسطينيون وغيرهم من أشقائهم العرب على أيدي السلطات الحاكمة في الكويت. وسوف ننشر في هذا العدد الموضوع الذي يتناول معاملة الفلسطينيين في الكويت على أن ننشر في العدد القادم المقالات التي تتحدث عن المعارضة الكويتية. نود أن نشير الى أننا نعتذر للدكتور أسعد عبد الرحمن والقراء الاعزاء عن عدم تمكننا من نشر مقالته بعنوان "الفلبان الهادىء" هل يفجر "الغضب الساطع" في الوطن العربي؟، وذلك لأسباب خارجة عن ارادتنا.

المحرر

من منظور بعض المسؤولين الكويتيين، سواء كانوا من أبناء عائلة آل الصباح الحاكمة أو من خارجها، لا شيء - لا شيء اطلاقا - يحدث ضد المدنيين الفلسطينيين وغيرهم من العرب!!!! وفي أعين هؤلاء، فان كل من يتحدث عن تعذيب المدنيين الفلسطينيين وغيرهم من العرب على ايدي بعض أفراد آل الصباح وبعض رجال الأمن الكويتيين، انما هو مجرد كاذب!! وعليه، فان السفير الامريكي في الكويت (ولا حول ولا قوة الا بالله!) كاذب أشر! وجمعية الحقوقيين الكويتيين جمعية كاذبة!!! ومنظمة العفو الدولية أكذب من كاذبة! والمنظمة العربية لحقوق الانسان كذوبة وليست كاذبة فحسب!!! وكل ما تقوله وكالات الانباء العالمية مثل وكالتي أنباء رويتر وأسوشيتد برس، لا يخرج عن كونه ادعاءات لا أساس لها وتخرصات كاذبة!! أما جميع تقارير الصحافة او "السلطة الرابعة" (رغم أننا هنا نشير الى صحافة الغرب الحبيب وليس الى "السلطة الرابعة" الشمطاء في ديار العروبة الكاذبة!!!) فانها ملعونة الى يوم الدين من شدة افتئاتها الكاذب ضد السلطات الكويتية!!!

*****

غير أن كل "حفلة التكذيب" هذه لم تستطع ان تحجب نور شمس الحقيقة، رغم ان الحقيقة هذه المرة كانت - كما يحدث أحيانا - مفجعة ومرة كأنها الحنظل او العلقم. ذلك أن كل مؤسسات الاعلام وحقوق الانسان هذه كانت قد وقفت مع الكويت منذ الاجتياح العراقي في ٢ آب/أغسطس ١٩٩٠ وحتى الاجتياح الاطلسي الذي استعاد الكويت (ولم نعد ندري "لمن؟" بعد أن شهدنا ما شهدناه من معاملة للمعارضة الكويتية والفقراء الكويتيين من "فئة بدون"، ناهيك عن معاملة غيرهم من العرب وخصوصا الفلسطينيين). والغريب في الامر ان ذات الأشخاص الكويتيين الذين يرفضون قبول تقارير كل هذه الجهات والمؤسسات باعتبارها تقارير كاذبة، كانوا - هم أنفسهم - أكثر الناس ترويجا لتقارير تلك الجهات يوم كان الحديث يقتصر على "فظاعة سلطات الاحتلال العراقي"!!! وبصريح

Digitized by Birzeit University Library

الطالب الفلسطيني صلاح سليمان، الذي كان يعيش في الكويت، يطلع الصحفيين في عمان يوم (١٩٩١/٣/٢٦)، على الاثار التي سببتها على فخذيه الحروق بأعقاب الصواريخ التي كان يطلقها عليهما ما يسمون أنفسهم رجال المقاومة الكويتية.

العبارة، ان هذه الانتقائية من جانب بعض المسؤولين الكويتيين لم تعد مقبولة فحسب، ولا فقط مرفوضة، وانما هي انتقائية بائسة تثير السخرية الشديدة! وعليه، فاننا - مع كل الجهات الرصينة سابقة الذكر - لا نستطيع الا أن نتبنى الحقيقة كما تكشفها تلك الجهات وليس كما ينفيها بعض المسؤولين الكويتيين !!! فما هي حقيقة الامر؟

*****

حقيقة الامر هي أن مئات من الفلسطينيين وغيرهم من العرب (بمن فيهم بعض الكويتيين) قد تعرضوا وما يزالون لمختلف الممارسات الفاشية المعروفة تاريخيا في مناطق مختلفة من عالمنا المعاصر. وعلى سبيل المثال، فان "المنظمة العربية لحقوق الانسان" التي دافعت طويلا وكثيرا عن الكويت والكويتيين اثناء أزمة وحرب الخليج بحيث كادت تلك المنظمة تنفجر نتيجة غضبة بعض قياديها وأعضائها من موقف أمانتها العامة نتيجة ما اعتبروه انحيازا منها الى الكويت، هذه "المنظمة" العربية أصدرت قبل أسبوعين بيانا شهيرا تحدث عن مقتل (٢١٠) فلسطينيين "راحوا ضحية الممارسات (الكويتية) منذ خروج العراق من الكويت الى جانب أربعة آلاف معتقل لا يعرف مصيرهم او مكان اعتقالهم". وفي هذا السياق، أعلن امين عام المنظمة، الاستاذ محمد فائق، ردا على سؤال من وكالة فرانس برس: "ان هذه الارقام وضعت بعد التثبت منها من مصادر عديدة". وفي هذا السياق، فان الأستاذ فائق - كما بيان "المنظمة العربية" - قد طالب السلطات الكويتية بالسماح لهم بايفاد بعثة تقصي حقائق حول الموضوع. غير ان طلب "المنظمة العربية لحقوق الانسان" ذاك تعرض للتجاهل التام!

*****

ولكن السلطات الكويتية التي نجحت - كما هو متوقع - في ادارة ظهرها لطلب منظمة عربية عتيدة لحقوق الانسان، لم تستطع - كما هو متوقع أيضا - أن ترفض طلبات جاءت من منظمات حقوق انسان غربية!! وبالفعل، زارت عدة منظمات غربية مدافعة عن حقوق الانسان الكويت وتحققت بنفسها من الحقائق الفاشية التي صنعها - وما يزال - عدد من "الليكوديين الكويتيين"، أو كي نستعمل "نموذجا" عربيا، نقول: ان تلك الحقائق الفاشية قد صنعها - وما يزال - عدد من "الكتائبيين الجدد" مع أن "الروح الكتائبية" عند بعض العناصر الكويتية ليست - حقا - روحا جديدة تماما على كل من عاش في تلك الديار!! بل اننا نستطيع ان نجزم بأن بعض الكويتيين قد دخلوا منذ فترة في "عصر انحطاط" خاص بهم ورغم أن غالبية الكويتيين كانوا - وما يزالون - يرفضون مثل هذه الممارسات، فان "روحا كتائبية" بدأت تعبر عن نفسها في أوساط بعض الكويتيين في السنوات الاخيرة. والمهم في هذا الصدد، ان تلك الاقلية أصبحت، في السنوات القليلة الماضية، أقلية مؤثرة وفعالة وموجودة بدءا من قمة الهرم السياسي وحتى القاعدة!! ونحن هنا، لا نتهم كل المسؤولين أو كل آل الصباح، فقد عرف الكثيرون منا - والكاتب أحدهم - بعضا منهم، سواء أيام كانوا على مقاعد الدراسة في جامعة الكويت أو على رأس السلطة، وكانوا من خيرة الناس. لكن ترديا ما قد حصل في أوساط غير هامشية، وخصوصا في أوساط الشباب داخل العائلة الحاكمة، جعل عددا متزايدا من افرادها يكره كل شيء عربي، وكل شخص عروبي أو تقدمي أو ديمقراطي أو اسلامي حقيقي، حتى لو كان

Digitized by Birzeit University Library

- بل ربما خصوصا اذا كان - من أبناء "الاسرة الكويتية الواحدة" ذاتها، ناهيك عما اذا كان من أبناء "المعارضة الكويتية"!!!

*****

المنظمات الغربية، المنافحة عن حقوق الانسان، والتي نجحت في دخول الكويت واجراء تحقيقاتها توصلت الى حقائق دامغة تصفع وجه كل صفيق نفى او ينفي الفظائع التي ارتكبت وما تزال بحق الفلسطينيين وغيرهم من أبناء العروبة. فقد تحدثت هذه المنظمات - ومعها مندوبون موثوقون من رعية "السلطة الرابعة" الغربية وليست العربية فحسب - عن أهوال مقززة تعرض لها عرب كثيرون وبخاصة أبناء الجالية الفلسطينية في الكويت! وفي هذا الصدد نكتفي - ضمن مصادر عديدة اخرى بجوزتنا - أن نشير الى ما ورد على الصفحة الاولى من صحيفة الاندبندنت البريطانية الشهيرة يوم ٢٧ نيسان/ابريل ١٩٩١. فهذه الصحيفة الرصينة - عبر اثنين من أبرز مراسليها روبرت فيسك وروبرت بلوك اللذين أجريا أبحاثا مستفيضة في الكويت ذاتها - خصصت معظم مساحة صفحتها الأولى للحديث عما أسمته في المقال الرئيسي الاول: "(خبراء) التعذيب الملكيون (أي أبناء العائلة الحاكمة) في الكويت"، وما أسمته في المقال الرئيسي الثاني "داخل غرفة الرعب الخاصة بالشيوخ (أي الشيوخ الحاكمين في الكويت)". وبالاضافة الى الوقائع الفاشية المذهلة التي كشفت عنها المقالتان/الدراستان، فان هيئة تحرير الصحيفة رأت من الضروري نشر مقال خاص باسمها جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد: "ثمة سؤال سيسأل بسخط في جميع أنحاء أوروبا الغربية وشمال أمريكا: من ناحية حقوق الانسان، هل ثمة فارق ولو صغير للاختيار بين حاكم مستبد حاربنا ضده، وحاكم مستبد آخر حاربنا للدفاع عنه؟!!

ففي الوقت الذي كان فيه الأمير يحتمي خلف جيوشنا في العربية السعودية، كان يعد العدة لطرد مئتي ألف فلسطيني من الكويت، وفقط لأنهم فلسطينيون، مستخدما أقصى قدر من الوحشية. وعندما أعدناه الى اقطاعيته تعرضت بلاده الى الخزي والعار بسبب أعمال التعذيب البربرية التي يمارسها"!!!

*****

ولهول ما جرى ويجري في الكويت، فان كبار المسؤولين الغربيين - وربما تحت ضغط الصحافة ومنظمات حقوق الانسان العالمية - لم يستطيعوا الاستمرار في تجاهل أعمال التنكيل والمآسي المصاحبة والتي قارفها "الكتائبيون الجدد" في الكويت ضد بعض الكويتيين وضد أبناء الجاليات العربية وبخاصة أبناء الجالية الفلسطينية. وسواء كان المسؤول الغربي الكبير رئيس وزراء بريطانيا أو وزير خارجيتها أو وزير الخارجية الأمريكية أو وزير الدفاع الأمريكي أو هذا الوزير الفرنسي أو غيره، فان الحديث واحد وجوهره: "توقفوا عن مقارفاتكم التي باتت تحرجنا وتخزينا"!!! وفي هذا السياق، لا بد من توضيح أربع حقائق: أولها، ان كل هذه الممارسات الفاشية ما كانت لتحدث لو كان في الكويت نظام ديمقراطي بدل النظام القمعي القائم، ولو اتيحت للمعارضة الكويتية المناضلة أن تشارك في صناعة القرار بدل أن يحتكر القرار "الكتائبيون الجدد". وهذه الممارسات ما كانت لتحدث أيضا لو أتيح لشرفاء الشعب الكويتي ان يعبروا بحرية عن مشاعرهم الأخوية تجاه إخوانهم العرب الذين عاشوا معهم سنوات طوال وشاركوهم آمالهم وآلامهم وخبزهم! وفي هذا الصدد، نقول: الله هو الحامي لاخواننا في المعارضة الكويتية ولأبناء الشعب الكويتي الشرفاء الذين نتمنى ان لا يؤكلوا... يوم يستمر أكل الفلسطينيين وغيرهم من العرب! وثاني الحقائق، أن كاتب هذه السطور وغيره كثيرون يقفون مع المحاكمة العادلة لكل من آذى أو أساء للكويتيين سواء كان فلسطينيا أو كويتيا أو عراقيا أو سودانيا... الخ. غير أن مثل هذه المحاكمات العادلة المطلوبة لا يمكن أن ترى النور في ظل النظام العرفي الظالم المظلم القائم حاليا والذي يعتقل عشوائيا، ويعذب عشوائيا، ويقتل عشوائيا... مع التنكيل والقتل على الطريقة الكتائبية اللبنانية أي "على أساس الهوية"!!! وثالث هذه الحقائق، أن أبناء الأمة العربية جميعا لن ينسوا للشرفاء والمناضلين الكويتيين الذين وقفوا ضد كل الممارسات الفاشية التي وقعت في بلدهم. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، نذكر في هذا الصدد: الدكتور أحمد الخطيب ورفاقه، وجاسم القطامي وصحبه، وجاسم المطوع ومحمد مساعد الصالح ومحمد جاسم الصقر وغيرهم من الصحافيين الشرفاء، والدكتور خالد الوسمي ود. عبد المالك التميمي ود. أحمد بشارة ود. خلدون النقيب ود. غانم النجار وغيرهم كثيرون من أساتذة جامعة الكويت الشرفاء. وطبعا، لا يمكن أن ننسى المحامي الديمقراطي المناضل حمد الجوعان: "اول الضحايا بين الزعماء الكويتيين" الذي أصابته رصاصات غادرة شلت جسده لكنها عجزت عن شل ارادته الديمقراطية الحرة المنافحة عن حقوق الانسان. أما الحقيقة الرابعة والأخيرة فهي أننا نخشى من أن واقع الحال الموضوعي، وليس بالضرورة القرار الذاتي لهذا التنظيم او ذاك، سيقود الى أعمال ثأرية وانتقامية. وفي الوقت الذي أتمنى فيه شخصيا أن لا يبادر أحد من الضحايا أو ممثليهم الى تطبيق قاعدة "العين بالعين... والسن بالسن" فانني قد تعلمت أن كثيرا من مناشداتي وتمنياتي

Digitized by Birzeit University Library

المشابهة قد تبخرت بقوة حرارة الاحداث والوقائع والمتطلبات التي يفرضها الواقع بعيدا عن الرغبات الشخصية الذاتية! وكم أتمنى - كم أتمنى حقا - لو وجدت مناشدتي هذه المرة آذانا صاغية! ومضت الأيام دون أن يتجاوز الظالمون المدى، ودون أن نشهد انتقاما أو ثأرا ضد مقارفات قصد المخططون منها أن يتدابع العرب!!!

ملحق الكاتب للدراسات والابحاث

يصدر في هذا الشهر، العدد الاول من ملحق مجلة الكاتب للدراسات والابحاث، وفي جنباته مجموعة كبيرة من الابحاث والدراسات، والترجمات القيمة والمتنوعة.

ان هيئة تحرير مجلة الكاتب وهي تدرك القيمة العلمية، الادبية، والثقافية والتاريخية.. لملحق الكاتب، سوف تعمل في سبيل اصدار فصلي له مستندة الى دراسات وأبحاث الكتاب والادباء والباحثين الفلسطينيين في الداخل والكتاب الفلسطينيين والعرب في الخارج.

وهيئة التحرير اذ تصدر العدد الاول من ملحق الكاتب للدراسات والابحاث لتأمل من الكتاب والباحثين ان يزودوها بدراساتهم وابحاثهم وترجماتهم في مختلف الميادين، لتتمكن من مواصلة اصدار العدد الثاني من الملحق في موعده المحدد، كما توجه الدعوة مجددا الى كافة الادباء والكتاب والباحثين لموافاتها تباعا بابحاثهم ودراساتهم.

Digitized by Birzeit University Library

«حملة عام ١٩٩١ من اجل النساء»

٢ - سوريا

قبض على بعض النساء في سوريا منذ ١٩٨٥ لمجرد ان لهن صلة عائلية برجال تبحث عنهم قوات الامن، واخريات قبض عليهن بسبب انشطتهم السياسية السلمية.

ومن بين اولئك اللاتي قبض عليهن ما بين آب/اغسطس ١٩٨٧ وشباط/فبراير ١٩٨٨ ما لا يقل عن ٦٧ امرأة تعرف منظمة العفو الدولية انهن ظللن معتقلات بدون اتهام او محاكمة حتى نهاية ١٩٩٠.

وبعض هؤلاء النسوة زوجات او اخوات او امهات لرجال تشتبه السلطات في انتمائهم الى احد الاحزاب السياسية المحظورة. وهناك اخريات بقين في الاعتقال بسبب معارضتهن السلمية لسياسات الحكومة الحالية.

وفي حالات كثيرة، قامت قوات الامن السورية باقتحام بيوت الاشخاص « المطلوبين » ويكون ذلك عادة في الليل، وهددتهم واهانتهم هم وعائلاتهم. واذا لم يكن الشخص المطلوب موجودا، فان الزوجات او الامهات او الاخوات او غيرهن من الاقارب يؤخذن بدلا منه لارغام « المطلوب » على تسليم نفسه. وفي عدد من الحالات، لم يفرج عن النساء حتى بعد القبض على القريب « المطلوب ».

وتعذيب السجناء السياسيين من الامور التي تجري بصورة منتظمة في سوريا. ويوقع التعذيب في اثناء الاستجواب لانتزاع «اعترافات» ومعلومات، او للعقاب. فقد يعرى السجين ويرغم على الوقوف عاريا عدة ساعات بينما يتولى الحراس اهانته. كما ورد ان اساليب التعذيب تتضمن الاعتداءات الجنسية مثل الاغتصاب وادخال مواد في الدبر والتهديد بالاغتصاب والتهديد بالاعتداء جنسيا على اقرباء الضحية بحضوره او حضورها. وقد ادخلت بعض النساء المعتقلات الى المستشفى بعد التعذيب وهن يعانين نزيفا في الفرج او حالة اجهاض.

وكانت وفاء مرتضى، وهي مهندسة مدنية عمرها ٣٠ عاما، حاملا في الشهر التاسع عندما قبض عليها في ايلول/سبتمبر ١٩٨٧. وقد اجهضت نتيجة للتعذيب خلال الاستجواب، وهي لاتزال في السجن. كذلك، فان بيان علاف، التي لاتزال في المعتقل، كانت حاملا حين قبض عليها، ولا يعرف ما اذا كانت قد وضعت مولودها في السجن، ولا يعرف مكان المولود حاليا.

ومما يسهل التعذيب ان قوات الامن لديها سلطات واسعة للقبض على الناس واحتجازهم في معتقلات انعزالية مددا طويلة، لسنوات احيانا. وقد منحت لها هذه السلطات، بحكم حالة الطوارىء المعمول بها في سورية منذ ١٩٦٣.

وبالاضافة الى النساء السبع والستين المذكورات في القائمة اعلاه، فهناك نسوة اخريات قبض عليهن قبل آب/اغسطس ١٩٨٧، ولايزلن معتقلات، ومن اجلهن اصدرت منظمة العفو الدولية مناشدات عاجلة ومازالت تلح في طلب الافراج عنهن. وتعتبر المنظمة هؤلاء النسوة جميعا سجينات رأي، وتطالب بالافراج الفوري عنهن.

سميرة عباس	رملة ابو اسماعيل	عفاف قندلفت	بيداء عيقة
لينا اسماعيل	فالنتينا قندلفت	انتصار الاخرس	نهاد اسماعيل
توفيقة رحيل	بيان علاف	عبير اسمندر	ملكة رومية
ليلى العلي	ياسمين استانبولي	أسية الصالح	وفاء العلي
ناجية جرعتلي	خديجة علي	غرناطة الجندي	سناء سعود
ينا عاشور العسكري	هدى كاخي	روزان فيخ موسى	منيرة صارم
فاطمة الخليل	سهير شاكر	ناهد بدوية	ملكة خلوف
سمر شما	ناديا شاليش	منى احمد	نداء الخير
ربيعة براري	اميمة شاربي	سلافة الباروذي	رنا الياس محفوظ
سوسن معار	عبير براري	رمال بوبو	رافدة المير
وفاء طروبة	سحر البني	جوليا ميخائيل	مريم زكريا
وفاء ابو دعاس	هيام معمار	رجائي ديول	وجدان ناصيف
لينا المير	عائدة ونوس	هالة فطوم	هتاف القصير
سلوى ونوس	مي الحافظ	انتصار مرعا	ماريا ابراهيم
نورا حسن	وفاء حميش	وفاء مرتضى	هيام نوح
منيرة حويجة	سحر حويجة	اسمهان نجارسي	وفاء ادريس
سناء حويجة	وفاء ناصيف	بديعة ابراهيم	

Digitized by Birzeit University Library

المياه في قطاع غزة

المهندس: عبد الرحمن التميمي
اياد حلس

تقدر مساحة قطاع غزة (٣٥٠٠ كم مربع) ويقع في الجزء الجنوبي الغربي من السهل الساحلي الفلسطيني ... ويقدر عدد سكان قطاع غزة (٧٣٠،٤٧٥) الف نسمة حسب احصائيات عام ١٩٩٠ وتقتطع السلطات العسكرية الاسرائيلية ما مساحته (١٢٠ الف دونم) من مساحة قطاع غزة ...

يعاني قطاع غزة من نقص في مخزونه الجوفي المائي نتيجة لمعدلات الاستهلاك العالية المتصاعدة نتيجة للتزايد السكاني والتوسع في المشاريع العمرانية والاقتصادية التي تحتل الزراعة مكان الصدارة فيها، ونتيجة كذلك لما تستخرجه شركة ميكوروت الاسرائيلية من مياه لاغراض الاستيطان في القطاع وخارجه، مقابل كميات محدودة من المياه تغذي المخزون المائي الجوفي وهذا يشكل اختلال في الموازنة المائية في القطاع ينجم عنها عجزا سنويا يقدر معدله بثلاثين متر مكعب.

هذا من الناحية الكمية ... اما من الناحية النوعية فالمشكلة تتمثل في تدهور نوعي في المياه نتيجة لانخفاض منسوب المياه الجوفية الذي يؤدي الى زيادة في نسبة الملوحة تصل في بعض المناطق الى (١٨٠٠ ملغم) في اللتر الواحد اضافة الى تسرب الرواسب والملوثات الى المياه الجوفية نتيجة عودة مياه المجاري من خلال حفر الامتصاص والصرف الذاتي الغير مرتبط بشبكات المجاري العامة والذي يشكل الوسيلة الغالبة للتخلص من الصرف الصحي في القطاع، وكذلك الاكثار من استخدامات المبيدات الحشرية في الزراعة والمخصبات الكيمائية والطبيعية ... ونتيجة زيادة معدلات الضخ العام.

المصادر المائية في قطاع غزة ...

تنحصر المصادر المائية في قطاع غزة بمياه الامطار والمياه المتسربة جوفيا من مرتفعات جبال الخليل والمياه العائدة من الصرف الصحي والري ... وتشكل مياه الامطار النسبة الكبيرة حوالي (٥٠٪) من مجموع مصادر التغذية ...

مياه الامطار:-

تبدأ الامطار في الهطول شتاء فقط ما بين نوفمبر ومايو، حيث يصل المعدل السنوي لسقوط الامطار في القطاع الى (٣٠٦) ملم، وعلى هذا الاساس تكون كمية المياه التي تسقط من الامطار هي (١١٠) مليون متر مكعب وتسقط هذه الكميات بمعدل (٤٦) يوم مطر فتكون كمية التبخر منها كمية تقدر بـ (٦٦،٩) مليون متر مكعب. وهناك حوالي ٣ مليون متر مكعب على شكل مياه سطحية. وبهذا تكون الكمية المغذية من مياه الامطار للمخزون المائي (٤١ مليون) متر مكعب سنويا، ويتفاوت معدل سقوط الامطار في قطاع غزة من منطقة الى اخرى اذ تأخذ كمية الامطار في الانخفاض بالاتجاه من شمال القطاع نحو جنوبه ...

المياه الجوفية:-

تعتبر المياه الجوفية المتسربة من الشرق من مصادر المياه الرئيسية في قطاع غزة ويتراوح بعد المياه الجوفية عن سطح الارض في قطاع غزة ما بين (٢٠ الى ٨٠) متر وقد يصل العمق احيانا الى (١٠٠ متر) ويقل حتى ثمانية امتار في الجهات القريبة من البحر، بينما تتراوح كمية المياه المتسربة جوفيا من جبال الخليل (الشرق) الى المخزون المائي في القطاع ما بين (٢٠-٣٠) مليون متر مكعب سنويا ... لكنه طرأ انخفاض شديد على هذه الكمية نتيجة

Digitized by Birzeit University Library

اقامة اسرائيل حاجزا من الآبار العميقة والسدود الانتشارية شرق القطاع للسيطرة على هذه المياه، ويقدر الان ما يتسرب من هذه المياه بكمية تتراوح ما بين (٥-١٠) مليون متر مكعب في السنة.

الصرف الصحي القائمة (يوجد في القطاع ثلاث شبكات صرف صحي فقط في غزة وخانيونس وجباليا ولازالت في طور الانشاء ولا تغطي الا نسبة ضئيلة من المساحات السكانية القائمة فيها.

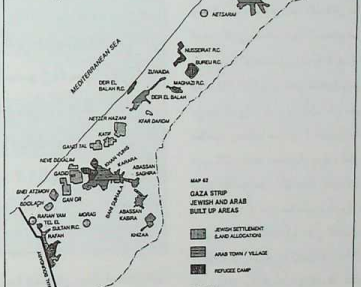

المياه العائدة من الري والمجاري:-

تقدر الكميات العائدة من مياه المجاري ومياه الري بكمية تتراوح ما بين (١٠-٣٠) مليون متر مكعب سنويا، ومياه المجاري تعود الى المخزون الجوفي من خلال حفر امتصاص مباشرة دون معالجة نتيجة لانعدام وجود شبكات صرف صحي في معظم المساحات السكانية في القطاع وعدم اقامة مشاريع معالجة صحية تابعة لشبكات

معدلات الاستهلاك

الزراعة العربية:- تبلغ المساحة المزروعة بالري في قطاع غزة حوالي (١٧٠) الف دونم تحتل الحمضيات الجزء الاكبر منها حوالي (٦٣) الف دونم وتحتل المساحة المخصصة لزراعة الخضار (٢٠ الف) دونم وهي مزروعات عالية الاستهلاك المائي، وبسبب القيود المفروضة على حفر آبار جديدة فقد تم تحديد كمية المياه للمزارعين ... فكمية المياه المسموح بها للمزارعين تعتمد على نوع التربة ونوع الزراعة على النحو التالي:-

١- الحمضيات (١٠٠٠) متر مكعب للدونم الواحد في السنة.

٢- الخضروات (٧٠٠) متر مكعب للدونم الواحد في السنة.

٣- التوت الارضي (١٠٠٠) متر مكعب للدونم الواحد في السنة.

٤- الزيتون واللوز (٣٠٠) متر مكعب للدونم الواحد في السنة.

ويبلغ الاستهلاك الاجمالي من المياه للزراعة (٦٥) مليون متر مكعب سنويا ...

الاستيطان الاسرائيلي:-

قامت شركة ميكوروت الاسرائيلية خلال العشر سنوات الاخيرة بحفر حوالي (٥٠ بئرا) على شاطىء قطاع غزة ولا توجد احصائيات دقيقة عن الكميات التي تضخها هذه الابار، الا ان تقديرا مبنيا على مواصفات آلات الضخ وعدد ساعات عملها اليومي يشير الى ان هذه الكمية تتراوح ما بين (١٥-٣٠) مليون متر مكعب سنويا، تورد منها الشركة ما يعادل (٥ ملايين) متر مكعب لاستخدام الشرب في مخيمات اللاجئين في المنطقة الوسطى وفي بعض القرى الجنوبية الشرقية من القطاع والتي لا تصلح مياهها للشرب نتيجة ارتفاع نسبة الملوحة فيها، اما الكمية المتبقية فتذهب الى المستوطنات في داخل القطاع وخارجه ...

وقد اتخذت سلطات الاسرائيلية قرارات مجددة على استخدام المياه في القطاع، فمنعت حفر آبار مياه جديدة وحددت للمزارعين واصحاب البيارات كميات المياه المسموح بها، واجبرتهم على تركيب عدادات على آبارهم وفرضت غرامات مالية باهظة على الذين يستخرجون كميات من المياه

Digitized by Birzeit University Library

تفوق الكميات المحددة لهم وكذلك منعت منعا باتا زراعة اي اراض جديدة بالحمضيات بحجة ان موارد المياه في القطاع لا تتحمل ذلك. وفي المقابل عملت السلطات الاسرائيلية على تشجيع ودعم الاستيطان الزراعي الاسرائيلي في قطاع غزة وذلك من خلال استيعاب اعداد كبيرة من المستوطنين في العمل الزراعي، وتوفير كافة الامكانيات والوسائل الكفيلة لاستصلاح مساحات شاسعة من الاراضي واستغلالها في زراعة الخضروات والفواكه والورد وتصديرها الى الخارج. ولذلك قامت سلطات الاسرائيلية بالتحكم في مصادر المياه لخدمة مشاريعها الاستيطانية من خلال استغلالها للمياه الجوفية عن طريق حفر الآبار الارتوازية لري المزروعات.

استهلاكات المواطنين للمياه:-

يقدر استخراج القطاع للمياه الجوفية بحوالي (١٠٠) مليون متر مكعب في السنة تضخ من حوالي (٢١٩٥) بئرا منها حوالي ٥٢ بئرا للشرب، وتقدر كمية المياه الصالحة للشرب حوالي (١٩،٨ مليون) متر مكعب سنويا، ولتغطية النقص (٢،٤) مليون متر مكعب تستعمل مياه تحتوي على نسبة عالية من الملوحة ... ان النقص في المياه نتيجة الضخ ادى الى انخفاض مستوى المياه الجوفية بمقدار (١٥-٢٠سم) في السنة الواحدة وازدياد في ملوحة الآبار بمقدار (١٥-٢٥) مليغرام كلورايد لكل لتر في السنة ... ومياه البحر تسربت نحو (١،٥) كيلو متر الى داخل المياه الجوفية الصالحة للشرب.

كل هذه العوامل أدت الى انخفاض جودة المياه، ٦٠٪ من هذه المياه تزيد نسبة الملوحة عن (٤٠٠) ميلغرام كلورايد لكل لتر ... وهذا الانخفاض في جودة المياه ادى ايضا الى الاساءة بشكل ملحوظ على الزراعة في المنطقة فتبلغ المساحة المزروعة بالري في قطاع غزة (١٧٠ الف) دونم تحتل الحمضيات الجزء الاكبر منها (٦٣) الف دونم وتحتل المساحة المخصصة لزراعة الخضار (٥٠) الف دونم وهي مزروعات عالية الاستهلاك المائي ...

نوعية المياه في قطاع غزة

نتيجة ازدياد الضخ وارتفاع نسبة الملوحة الناتجة عن تسرب مياه المجاري، ومهاجمة مياه البحر للمياه الجوفية فان قطاع غزة يعاني من تدني واضح لمستوى نوعية المياه وهناك بعض المؤشرات الهامة على ذلك.

فمثلا نتيجة دراسة اولية اجرتها مجموعة الهيدرولوجين بالتعاون مع بعض المهندسين في قطاع غزة تبين الاتي معدل الملوحة في القطاع حوالي ١٨٠٠ ميلغرام/لتر وهذا المعدل يزيد عن معدل منظمة الصحة العالمية بحوالي ٨٠٠ ميلغرام/لتر . وهناك معدل الكلورايد في مياه قطاع غزة حوالي ٥٣٠ ميلغرام/لتر وهذا المعدل يزيد عن معدل منظمة الصحة العالمية بحوالي الضعف كذلك فان معدل الكالسيوم في قطاع غزة حوالي ١٠٠ ميلغرام/لتر في حين يبلغ معدل منظمة الصحة العالمية ٨٠ ميلغرام/لتر.

اما عن التلوث البكتيري فتشير

المياه للمستوطنات في قطاع غزة (بالألف متر مكعب)

المستوطنة	الكمية السنوية	آبار	فوق الارض	ميكوروت	زراعي	صناعي	منازل
جديد	٢٧٦،٢	-	-	٢٧٦،٢	٢٥٦،٢	-	٢٠،٠
جان أور	٢٢٥،٩	-	-	٢٢٥،٩	٢٢١،٤	-	٤،٥
جاني تل	٢٧٣،٨	-	-	٢٧٣،٨	٢٦٨،٨	-	٥،٠
نيتزار حزاني	٢٩٥،٧	-	-	٢٩٥،٧	٢٨٩،٢	-	٦،٥
رفيح يام	١٨٠،٠	-	-	١٨٠،٠	-	-	١٨٠
نيتساريم	١٧٩،٩	-	-	١٧٩،٩	١٧٥،٩	-	٥،٠
عصمونة	٦٠،٣٠	-	-	٦٠،٣٠	٥٩٢،٢	-	١٠،٨
لطيف	٣٣٧،٨	-	-	٣٣٧،٨	٣٣٢،٨	-	٥،٠
بادولا	١٢٥،٢	-	-	١٢٥،٢	١١٩،٧	-	٥،٥
تل المطار	-	-	-	-	-	-	-
نيف ديكاليم	١٤٤،٠	-	-	١٤٤،٠	-	-	١٤٤،٠
موراج	٢٢٥،٠	-	-	٢٢٥،٠	٢٢٠،٥	-	٤،٥
كفار داروم	٢٨٥،٠	-	-	٢٨٥،٠	٢٧٣،٣	-	١١،٧
متسبه عتصمونة	٢٦٧،٧	-	-	٢٦٧،٧	٢٦٢،٧	-	٥،٠
أيلي سيناي	١٣،٥	-	-	١٣،٥	-	-	١٣،٥
	٣٣٧،٠٧	-	-	٣٣٧،٠٧	٣١١١،٧	-	٢٥٩،٠

Digitized by Birzeit University Library

الدراسات الى الآتي:

٣٥٪ من العينات التي جمعت جيدة ولا يوجد بها تلوث وحوالي ٤٥٪ يمكن قبولها وحوالي ٢٠٪ من العينات ملوثة وهذه العينات من مخيم البريج ودير البلح.

آبار المياه في قطاع غزة:-

يوجد في قطاع غزة (٢١٩٥) بئرا للمياه يقع (٨٠٠) منها في منطقة بعيدة عن الشاطىء تصل فيها درجات الملوحة من (٢٥٠-١٠٠٠) ميلغرام في اللتر. اما الآبار التي تقع قريبة من الساحل فيبلغ عددها (٣٥٠) بئرا ذات نسبة ملوحة اقل تتراوح ما بين (٢٠-٨٠) ميلغرام في اللتر ويصل عمقها بين (٨-٢٠) مترا.

وتعود اسباب ملوحة المياه الى احتمال تكوينات السينومانيان الجيولوجية العميقة يضاف الى ذلك تقدم مياه البحر في اتجاه الشرق من منطقة تقع بين جنوب غزة وجنوب منطقة الزوايدة بمعدل (٢٠٠) متر في السنة.

آبار مياه الشرب فقط في قطاع غزة:-

يعتمد قطاع غزة اعتمادا كليا في الحصول على المياه الخامة بشرب السكان وكذلك للاغراض الصناعية على مياه الابار وتبلغ عدد آبار مياه الشرب فقط في القطاع (٧٢) بئرا منها (٦٠ بئرا) تخص البلديات والمجالس القروية و (١١) بئرا تخص وكالة الامم المتحدة وبئرا واحدا خاص يقع في معسكر جباليا .. وعدد الابار العاملة (٥٢ بئرا) والعاطلة عن العمل (٢٠ بئرا) ... والجدول التالي يوضح توزيع هذه الابار والاستهلاك الصناعي وكمية مياه الشرب لكل منطقة ...

المنطقة	عدد الابار	عدد الابار العاملة	عدد الابار العاطلة	كمية المياه المسحوبة (بالمليون متر مكعب)
بيت حانون	٣	٢	١	٠،٤٤
بيت لاهيا	٤	٣	١	٠،٢٧
جباليا الزلة ، مخيم جباليا	٤	٤	-	١٠٤
مدينة غزة	٢٣	١٨	٥	١٣،٥
دير البلح	٥	٣	٢	٠،٢
خانيونس	٨	٨	-	٣،٩
بني سهيلا	٢	٢	-	٠،٣٧
عبسان الكبيرة والصغيرة	٣	٢	١	٠،٠٣
رفح	٩	٣	٦	٢،٥
آبار الوكالة	١١	٧	٤	٠،٦١
الاجمالي	٧٢	٥٢	٢٠	٢٤،٢٢

يضاف الى هذه الكمية حوالي (٢ مليون) متر مكعب لكل سنة تضخ من مجموعة من الآبار الحكومية الموجودة في الشريط الساحلي من دير البلح حتى رفح وتمد المعسكرات الوسطى ودير البلح والزوايدة وخزاعة وعبسان وبني سهيلا وجزء من منطقة خانيونس بمياه الشرب وبذلك تصبح كمية مياه الشرب والاستهلاك الصناعي المستهلكة في قطاع غزة حوالي (٢٦) مليون كوب سنويا.

التطلعات والاقتراحات:

قد يكون من الصعب تقديم حلول جذرية لمشكلة المياه في قطاع غزة نتيجة الظروف الذاتية والموضوعية الراهنة، اذ ان ذلك يتطلب اتفاقيات مائية مع مصادر المياه المجاورة كاتفاقية مع الدول المجاورة (كمصر مثلا) او احتمال تقسيم عادل لمياه المنطقة ... ولكننا نستطيع في الوقت الراهن التقليل من اخطار نقص الماء عن طريق تقنين استغلال المياه من جهة والمحافظة على الموارد المائية الجارية الى البحر من جهة اخرى ...

ويجب اتباع وسائل علمية فنية كتعميم طرق الري الحديثة واغلاق الآبار التي ترتفع فيها نسبة الملوحة والتوجه نحو الزراعة الرأسية ذات الانتاج المتعدد وذات الاستهلاك الادنى من المياه وتطوير الصناعة كبديل اقتصادي ...

وفي مجال المحافظة على موارد المياه فتتم عن طريق ترشيد الاستهلاك والاستفادة من كميات اضافية من مياه الامطار الجارية عبر الوديان الى البحر عن طريق اقامة برك اعتراضية وكذلك في معالجة وتطهير مياه المجاري العائدة الى المخزون الجوفي والاستفادة منها في الزراعة وبالتعاون مع المنظمات الدولية

Digitized by Birzeit University Library

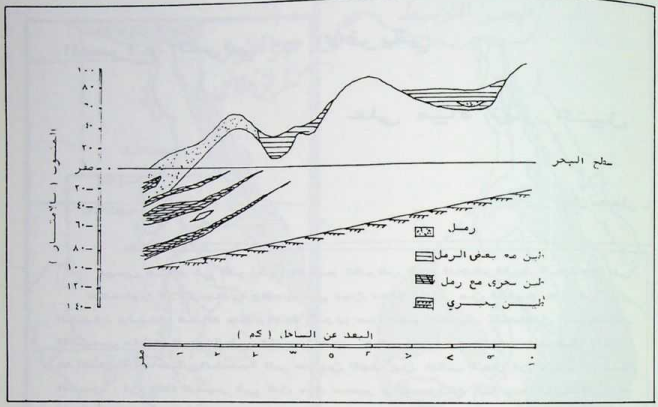

مقطع رأسي من قطاع غزة يبين الخزان الجوفي

المتخصصة لاجراء دراسات بيئية جديدة تنظم العلاقة المناخية بالانتاج الزراعي. وكذلك اقامة المشاريع المختلفة لتحلية مياه الشرب وتخفيف نسبة الملوحة بهدف زيادة كمية المياه ...

غزة عام ٢٠٠٠

تذكر بعض التقارير انه سوف يحدث ازدياد عالي في السكان ونقص خطير في المساكن وفي مياه الشرب وانحسار في مساحة الارض الزراعية وقد يرتفع عدد سكان قطاع غزة الى حوالي (١,٠٥٣,٠٠٠) نسمة بحلول العام ٢٠٠٠، بينما يصل عدد سكان القطاع الان حوالي (٧٥٠,٤٧٣) الف نسمة يعيشون في مساحة (٢,٥٠٠) كيلومتر مربع فقط ... وهي من اعلى الكثافات السكانية في العالم ... يشكل الجيل الذي يقل عمره عن (١٩) عاما في القطاع الان حوالي (٦٠٪) من مجموع السكان، اما الذين تقل اعمارهم عن ٢٩ عاما فيشكلون ٧٧٪.

قبل عام ١٩٤٨ كانت مساحة قضاء غزة تبلغ (١٣,٦٨٨,٥٠١) دونما بتعداد سكاني قدره (٢٠٢,٥٠٠) نسمة وبعد العام ١٩٤٨ فقدت جميع هذه المناطق ما يساوي (٢,٥٪) وهي ما يعرف الان بقطاع غزة.

وبحلول عام (٢٠٠٠) سيواجه القطاع نقصا مقداره (٣٧ مليون) متر مكعب من المياه الصالحة للشرب، وسواء توفر هذه الكمية على شكل مياه صالحة للشرب ام لم تتوفر فان أهل القطاع مضطرون للشرب من اي مصدر آخر مما قد يؤدي الى اضطرابات صحية ... وستقل المياه المخصصة للزراعة بطبيعة الحال مما يعني انكماشا في مساحة الارض الزراعية من (١٧٥,٩٠٠) دونما مستغلة الان الى (١٤٨,٠٠٠) دونم في العام (٢٠٠٠) وفي هذه الحالة يمكن استعمال الاراضي المهجورة لاغراض البناء كاستجابة طبيعية للحاجة المتزايدة للمساكن التي تترتب على الازدياد الطبيعي العالي في عدد السكان.

Digitized by Birzeit University Library

الصراع العربي — الافريقي

على مياه نهر النيل

احسان مصطفى

ليس هناك في افريقيا اقليم تفرض فيه الجغرافيا، الحاجة الى التعاون الاقتصادي والسياسي بين دوله اكثر من اقليم حوض نهر النيل، وليس هناك من رابط اقوى من نهر النيل كعامل تماسك اقليمي داخل الدولة في كل من مصر والسودان، بحيث يعد هذا النهر ذا اهمية خاصة بالنسبة الى هذين البلدين حتى قيل ان مصر "هبة النيل". ان هذا النهر في كل من مصر والسودان هو بمثابة الروح للجسد وهو بمياهه يهب الحياة او يهددها.

وعلى الرغم من ان دول حوض النيل هي تسع دول افريقية هي مصر والسودان واثيوبيا واوغندا وكينيا وتنزانيا وزائير وبوروندي ورواندا، وهذا التعدد يجعل الوصول الى اي تسوية لاي مشكلة تخص النهر ومياهه اصعب من امكانية الوصول الى تسوية اي مشكلة ثارت او تثور بالنسبة الى اي نهر، فان مشكلة مياه النيل بالنسبة الى مصر والسودان تتعلق بدولتين من دول الحوض هما اثيوبيا من الشرق واوغندا من الجنوب، واذا كانت معظم مشاكل مياه الانهار تتركز في الوطن العربي الاسيوي فان مشكلة مياه نهر النيل هي المشكلة الوحيدة في الوطن العربي الافريقي، ولمشكلة المياه في مصر والسودان وعلى الاخص مصر عدة جوانب هي الجانب الزراعي وري الاراضي واستصلاحها، وزيادة السكان، والجانب الكهربائي والصناعي وهو ما يعرف بالتنمية ورفع مستوى معيشة السكان.

ونظرا لسقوط امطار وفيرة على جنوب السودان وسقوط امطار متوسطة على وسطه ووجود روافد كثيرة لنهر النيل في السودان مثل نهر السوباط والنيل الازرق وعطبرة اضافة الى بحر الجبل والغزال والزراف فان مصر ليس بها اي رافد للنيل سوى المجرى الرئيسي، وبينما لا تشكل الصحراء سوى الجزء الشمالي من السودان فان الصحراء تشكل ٩٦٪ من مساحة مصر، ولا يسقط عليها اي نوع من المطر عدا الاجزاء الشمالية فقط وبكميات قليلة، لذا نرى ان حاجة مصر الى نهر النيل هي اكبر واهم من حاجة السودان الى هذا النهر، لانه يمثل شريان الحياة الوحيد فيها.

نهر النيل ومصر:

نهر النيل هو اطول نهر في العالم، اذ يبلغ طوله من منبعه الى مصبه نحو ٤١٥٠ ميلا اي قرابة ٧٠٠٠ كيلومترا، وينبع هذا النهر من هضبة البحيرات في شرق افريقيا حيث تسقط عليها امطار غزيرة معظم السنة وتجري هذه المياه بصفة عامة نحو الشمال متجمعة من ٩ دول حتى تصب في البحر المتوسط في شمال مصر.

وحفاظا على مياه النيل فقد اقامت مصر علاقات حسنة مع دول حوض النيل وعقدت مع معظمها اتفاقيات لتنظيم جريان نهر النيل وخاصة مع اثيوبيا والسودان واوغندا.

حاجة مصر الى مياه النيل:

منذ فترة ليست بعيدة تحدث السفير عبد الحليم ابو غزالة، عندما كان وزيرا للدفاع في مصر، عن المخاطر التي تتهدد

Digitized by Birzeit University Library

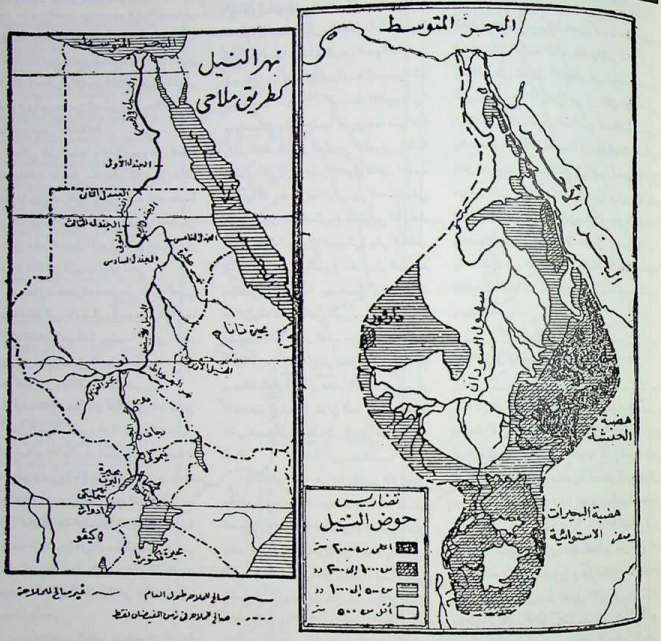

امن مصر، فوضع الامن المائي في المرتبة الثانية بعد الخطر الاسرائيلي، وياتي الخطر على مصر من ان النيل وهو عصب الحياة الاساسي في مصر يمر قبل ان يدخل مصر في اراضي افريقية شديدة الاضطرابات، هي اثيوبيا وجنوب السودان، بل واوغندا احيانا، وربما يعود الاهتمام المصري بمشكلة الجنوب السوداني الى مخاوف مصر على امنها المائي الذي يمر عبر هذه المنطقة الخطرة وهي تسعى جاهدة لحل مشكلة الجنوب السوداني سلميا حتى تضمن تدفق المياه عبر النيل بكميات كبيرة لحاجتها المتزايدة الى هذه المياه.

وقد ساهمت الحكومة المصرية في تمويل (١) سد شلالات اوين الى الشمال من بحيرة فيكتوريا في اوغندا الذي تم انشاؤه عام ١٩٥٤ ليوفر ويخزن المياه لمصر ويوفر الكهرباء لاوغندا، كما شجعت حكومة مصر على حفر القناة التي تخترق منطقة السدود في جنوب السودان لتوفير المياه نتيجة انتشارها وفيضانها وحصرها في قناة لتوفير الفاقد من التبخر وهذه القناة هي قناة (٢) "جونغلي" وهي معطلة بسبب حرب الجنوب في السودان وفي هذا المجال حرصت مصر على ان لا تتضرر كميات المياه نتيجة لقيام السدود في السودان وغيرها وكانت على اطلاع عند تنفيذ كل سد مثل سد جبل الاولياء على النيل الابيض وسدي الرمصيرص وسنار على النيل الازرق وسد خشم القربه على نهر عطبره وسد اوين

Digitized by Birzeit University Library

بعد خروج النيل من بحيرة فيكتوريا في اوغندا، وقد اولت مصر نهر النيل عناية فائقة فأقامت عليه السدود مثل سد اسوان والسد العالي واقامت الكثير من القناطر والترع وغيرها من المشاريع محافظة على مياهه وحسن استغلالها.

وفي ظل زيادة حاجة مصر الى المياه فقد تناقلت الاخبار معلومات تفيد بأن هناك تعاونا بين اسرائيل واثيوبيا لانشاء سلسلة من السدود والخزانات في اثيوبيا لتحد من تدفق نهر النيل الازرق الذي ينبع من بحيرة تانا في اثيوبيا نحو مصر.

مما زاد مخاوف مصر على امنها المائي مما دعاها الى الاتصال باثيوبيا وتذكيرها بالاتفاقيات الموقعة بينهما والتي تنظم جريان مياه نهري النيل الازرق وعطبره نحو السودان وبالتالي نحو مصر.

وتحتاج مصر الى اكثر من ٧٥ مليار م٣ من المياه عام ٢٠٠٠ منها ٥٢ مليار للزراعة و ١٥ مليار للشرب والاستهلاك المنزلي ومن هذه الحاجة ندرك مدى صحة المخاوف المصرية على مياه النيل والحرص على حل قضية الجنوب السوداني لاعادة استثمار قناة جونغلي المعطلة بسبب الحرب الاهلية هناك وما ستوفره هذه القناة من مليارات الامتار المكعبة في حالة تشغيلها للسودان ولمصر.

وتواجه مصر الكثير من العوائق المائية الطبيعية والبشرية على حد سواء ويرتبط بمياه النيل الكثير من خطط التنمية في مصر والمرتبطة بتوفير الموارد المائية، وتشهد مصر منذ تسع سنوات فترة جفاف تحولت خلالها قضية المياه الى قضية قومية وخصوصا وان مستويات الامطار على منابع النيل انخفضت في هذه الفترة.

ولدى ورود معلومات عن قيام تعاون اثيوبي اسرائيلي لاقامة سدود وخزانات اثيوبية من شأنها ان تؤثر على موارد النهر المائية في مصر حتى قامت الحكومة المصرية بالاتصال بالحكومة الاثيوبية مذكرة اياها بالاتفاقيات الموقعة بين الجانبين، كما ان الحكومة المصرية قد تدخلت لدى (٣) "البنك الافريقي" ومؤسسات مالية عالمية اخرى مما نتج عنه رفض البنك تمويل المشروع الاثيوبي لاقامة مشروعات الري على النيل داخل حدود اثيوبيا الا بعد موافقة اول دول المصب وهي مصر، وكان هذا المشروع الاثيوبي قد رصد له ١٠ مليارات دولار امريكي، وفي الماضي عام ١٩٣٧ لقي مشروع سد جبل الاولياء معارضة مصرية بسبب كثرة نفقات وتكاليف هذا السد، وكون نسبة المفقود بالتبخر عالية ولكن الاهم من ذلك ان الوضع السياسي في السودان في ذلك الوقت وتحكم بريطانيا فيه جعل مصر تخاف ان يسيء الانجليز استخدام خزان السد بقصد الضغط على مصر لارغامها على قبول ما لا تريد قبوله.

وتحتاج مصر الى ما يقارب ٧٣ مليار متر مكعب من المياه عام ١٩٩٠ حسب المعدلات الحالية للسكان والانتاج ولدى مصر حاليا امداد سنوي من المياه يصل الى اقل من ٧٠ مليار متر مكعب، مما يعني نقصا في المياه واذا كان عدد سكان مصر سيزيد على السبعين مليون نسمة عام ٢٠٠٠، فهذا يعني ان حاجة مصر الى المياه هي مسألة حياة او موت.

ان اجمالي مياه النيل يبلغ ٨٤ مليار متر مكعب في السنة وحصة مصر منها ٥٦ مليار متر مكعب وبالسد العالي استطاعت مصر ان تسد النقص حيث ان بحيرة ناصر، وهي اكبر بحيرة صناعية في العالم، وفرت لمصر ما بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٥ ما يوازي ١٦٥ مليار متر مكعب، هي مياه موجودة في البحيرة وبسبب الجفاف وصل انخفاض تدفق مياه النيل الى مصر الى اقل من ٣٨ مليار متر مكعب، وتراجع منسوب المياه في بحيرة ناصر، مما اخذ يهدد توربينات توليد الكهرباء والان فكل شيء يتوقف على هطول الامطار في مناطق منابع النيل لكن هذا لا يمنع في ان لكل نهر دولي قوانين واعرافا وتقاليد تنظم سيره والحصص فيه وبالنسبة للنيل فهناك جانب خارجي يرتبط بالاتفاق بين مصر ودول حوض النيل، وهو جانب حان اوان تكثيف الجهود لتحديد مختلف ملامحه الحاضرة والمستقبلية بما يحفظ حقوق مصر القائمة والمحددة في الاتفاقيات الثنائية والجماعية مهما تطلب ذلك من جهد سياسي ودبلوماسي.

نهر النيل والسودان:

ان السودان وبحكم موقعه الفلكي والجغرافي قد جعله اقل تأثرا بالمشاريع المائية المقامة والمراد اقامتها على النيل فهو الدولة التي تتمتع بكمية امطار كبيرة في جنوبه تصل الى ١٠٠٠ ملم وبكمية امطار تصل الى ما بين ٢٠٠ - ٦٠٠ ملم في وسطه، كذلك تجري فيه الكثير من الروافد التي اقام عليها سدودا وخزانات ومشاريع مائية كبيرة مثل نهر النيل الابيض والازرق وعطبره والسوباط وغيرها، وسيكون تأثير المشاريع الاثيوبية عليه اقل ضررا من مصر التي تعتمد فيها الحياة الزراعية وبقية النشاطات الاقتصادية على نهر النيل بشكل كبير جدا، والسودان مرتبط (٤) باتفاقيات ثابتة وراسخة مع مصر لتنظيم جريان المياه اليها وهناك تعاون سوداني مصري وثيق في هذا المجال، الا ان الحرب الاهلية في جنوبه قد اثرت على المشاريع المائية فيه بشكل مباشر وعلى مصر بشكل غير مباشر، ويستغل المتمردون السودانيون في الجنوب قضية المياه كأحد اوراق الضغط

Digitized by Birzeit University Library

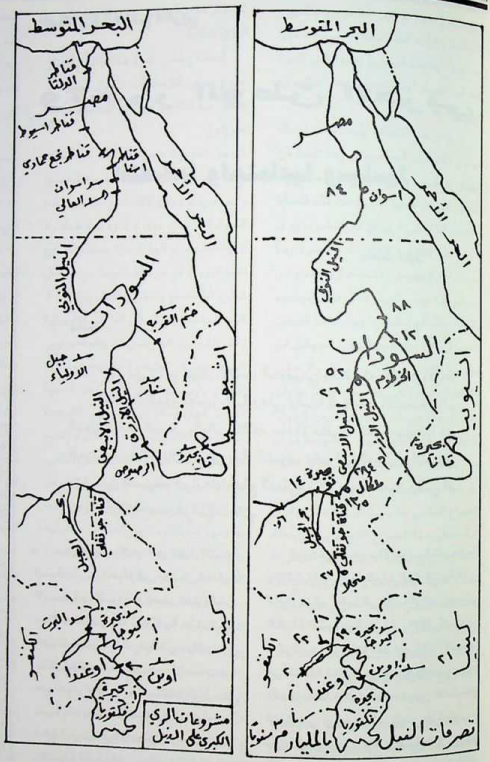

بهجرة اليهود منها مباشرة الى اسرائيل وتعطي اسرائيل تسهيلات عسكرية في اراضيها القريبة من مضيق باب المندب على مدخل البحر الاحمر مقابل مساعدات فنية وعسكرية واقتصادية من اسرائيل لاثيوبيا تدخل مسألة السدود ومشاريع الري ضمن هذه المساعدات، مما يقتضي وقفة عربية واحدة في وجه هذه المخططات التي تستهدف الامن المائي والغذائي والعسكري العربي.

الهوامش

(١) سير الانهار: مقال في جغرافية نهر النيل د.محمد محمود الصياد - دار النهضة بيروت ١٩٧١

2- A.T. Grove, Africa OXFORD UNIV. Press 1978

(٣) جريدة الاهرام ١٩٩٠/٢/٦ عن المهندس عصام راضي، وزير الاشغال والموارد المائية في مصر.

(٤) افريقية، دراسة شخصية الاقليم د. محمد عبد الغني سعودي، القاهرة ١٩٧٦.

.....

على الحكومة المصرية من اجل تحقيق مكاسب سياسية في الاستقلال عن حكومة السودان ويشجعهم في ذلك الاستعمار واعوانه في المنطقة لابقاء حالة الحرب والتوتر في السودان كأحد وسائل الضغط والابتزاز السياسي العالمي، ولقد جاء استعداد اسرائيل لمساعدة اثيوبيافي تنفيذ السدود والمشاريع التي تنوي اقامتها على نهر النيل داخل حدودها ضمن اتفاقيات وقعت بين البلدين تسمح بموجبها اثيوبيا

Digitized by Birzeit University Library

المشروع القومي العربي

وتحرر الوطن العربي

اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا

محمد داود

المفكرون الفلسطينيون والعرب:

مع "الكاتب" في الحوار الايديولوجي - السياسي حول المشروع القومي العربي والقضية الفلسطينية

اسرة تحرير المجلة، بدأت من العدد (١٣١) بنشر المقالات الفكرية (الايديولوجية) والسياسية، التي تتناول المشروع القومي العربي، قضايا العالم العربي الراهنة وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وكانت اسرة التحرير، وجهت الدعوة للمساهمة النشطة في هذا الحوار من على صفحات المجلة، للكتاب العرب والفلسطينيين، بهدف تعميق محتوى ومضمون القضايا التي تواجهها البلدان والشعوب العربية في مختلف الميادين، وتبيان السبل الكفيلة بتذليل العقبات التي تقف امام الشعوب العربية، الساعية الى التقدم والتحرر والديمقراطية، والشعب العربي الفلسطيني المكافح في سبيل حريته واستقلاله.

مقدمة

كان من نتائج انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومته «الاشتراكية»، استفراد الدول الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة بعالم الدول التابعة المسمى بالعالم الثالث، هذا الاستفراد الذي سيمكنها من المزيد من الاستغلال ومص دماء الشعوب وخيراتها الوطنية والتصدي بشيء من السهولة، جراء «الاجماع الدولي» لكل حركة تحرر وطني او ثورة اشتراكية او ديمقراطية ... الخ.

ومن الجانب الاخر، ادى انهيار الاتحاد السوفييتي، وتحوله الى جزء من الحاشية الامبريالية الى وضع بعض الدول التي مازالت تنادي بالاشتراكية مثل كوبا وفيتنام وكوريا الشمالية في موقف حرج بشكل لم تعهده من قبل لدرجة اصبحت فيه هذه الدول قلقه بشأن مستقبلها كدول ذات بنية اقتصادية-اجتماعية-ايديولوجية مخالفة بل تنظر بعداء للرأسمالية. اما بالنسبة للدول التي تنادي باشتراكية لا ماركسية او انها دول تدعو الى رأسمالية وطنية، فقد ادى بها الانهيار الى الاصطفاف الى جانب الرأسمالية العالمية باستثناء عدد قليل من هذه الدول وعلى رأسها العراق الشقيق.

اما على صعيد الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والمنظمات الماركسية التي كانت تنظر دائما الى الاتحاد السوفييتي كقبلة للشيوعية، او على الاقل كحليف استراتيجي اول لها فقد ادى ذلك الانهيار الى خلخلة فكرية في اوساطها عبرت عن نفسها باشكال تراوحت ما بين الانشقاق التنظيمي او تحول التنظيم -او الحزب- بكامله عن المبادىء الماركسية الكلاسيكية والانتقال من حزب شيوعي للطبقة العاملة الى حزب شيوعي -او اشتراكي- لكل الطبقات.

وعلى الصعيد الايديولوجي ادى ذلك الانهيار الى تراجع كبير للماركسية في اوساط المناضلين اليساريين، سواء

Digitized by Birzeit University Library

المؤطرين منهم ام غير المؤطرين. فالانهيار فاجأهم وكأنه الصاعقة -على حد قول بعضهم- بحيث اصيبوا بخيبة امل كبيرة ادت الى انهيار ايديولوجي عند الكثيرين منهم.

ومع ان هذه المقالة ليست معدة لمسألة انهيار الاتحاد السوفييتي وما تبعه من انهيار تنظيمي وايديولوجي لدى مشايعيه، بمعنى آخر ان هدفها ليس بحث هذه المسألة بالذات، الا انني ارى ان من الضروري ان اتمس عذر القارىء لاقول كلمة قصيرة بهذا الصدد: ان انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومته ليس انهيار للشيوعية كمبادىء نظرية وكواقع نضالي، ويعود هذا لسببين اولهما ان الاتحاد السوفييتي لم يكن في يوم من الايام دولة شيوعية، ولا حتى اشتراكية (ان موقفي هذا يعود لعشر سنوات مضت) وبالتالي فان انهياره ليس انهيارا للاشتراكية او الشيوعية، وثانيهما هو ان مبرر النضال من اجل الشيوعية مازال ماثلا، بل انه اعمق واشد من ذي قبل، اقصد الصراع الدامي ما بين قوى العمل وقوى الرأسمال، هذا الصراع الذي لا يمكن حله بشكل ثوري بتاتا الا بناء على النظرية الماركسية المتجددة والمتطورة مع كل اكتشاف علمي جديد -على حد تعبير فردريك انجلس-.

المشروع القومي والتحرر

تقتضي البحث في هذا الموضوع -خصوصا في الظروف الراهنة بالنسبة لوطننا العربي- التحلي بالموضوعية والابتعاد عن كل ما يمكن ان يؤثر سلبا على البحث خصوصا الهوى او ما نسميه اليوم بالعاطفية او الرومانسية وكل ما ينجم عنها من عصبية وتحيز. كذلك هناك ضرورة لوجود منهج محدد يرتكز الى قوانين علمية لامجال لدحضها من خلال التعميمات او الرؤى الذاتية.

وهنا وعلى ضوء هذا الكلام اود ان اطرح بعض التساؤلات تكون معينا لي وللقارىء الكريم من اجل الامساك بزمام الموضوع.

١- هل القومية علميا، اي بناء على ابحاث ونظريات وقوانين علم التاريخ والسوسيولوجيا والاقتصاد والسياسي وعلم الدولة ... الخ، هل القومية ظاهرة ازلية-ابدية، ام انها ظاهرة مستحدثة، اي انها ظهرت في مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع والتاريخ البشريين (انا لا الزم احدا هنا بالنظر الى المراحل التاريخية وفقا للتحليل الماركسي للنموذج الاوروبي التقليدي، اي مشاعية بدائية، عبودية، اقطاع، رأسمالية، اشتراكية) من ناحية اخرى، فهل هناك فرق ما بين القومية بمفهومها الحديث وما بين المفهوم القديم لمقولة الشعب (الشعب الروماني، والجرماني، والفنيقي، والبابلي ... الخ). وهل هناك فرق ما بين العصبية القومية كما نعرفها حديثا وما بين العصبية القبلية والعشائرية القديمة؟ (عشيرة الزولو، الهنود الحمر، بدو الصحارى ...).

واذا كانت هناك علاقة ما بين الفهم الحديث لهذه المقولات والمصطلحات وما بين الفهم القديم فما هي حدود تلك العلاقة؟

٢- على اعتبار ان النقاش في هذه المسألة، اي المشروع القومي العربي، مطروح على المفكرين العرب، سواء ماركسيين ام غير ماركسيين، فهل هناك اي اتفاق حول التقسيم الطبقي للمجتمع العربي، اقصد تقسيم طبقي اقتصادي-اجتماعي بالدرجة الاولى. بمعنى آخر هل هناك اتفاق على وجود طبقة تدعى بالبرجوازية، والتي هي -كما يقول الماركسيون- تملك وسائل الانتاج ورأس المال (صناعي، تجاري، زراعي، مالي ...الخ) ام مالكي وسائل الانتاج هم مجرد افراد لا يجمعهم جامع؟ ام ان هناك صيغة وسط تقر بوجود «طبقة وسطى» كما كان الحال عشية الثورة الفرنسية الكبرى؟

وسواء كان هناك اتفاق حول وجود او عدم وجود الطبقة البرجوازية العربية ام لم يكن هناك اي اتفاق كان، فهل هناك اية ترجمة اقتصادية-اجتماعية لمفهوم القومية؟

٣- ما هي علاقة انظمة الحكم في العالم العربي بالطبقات الاقتصادية-الاجتماعية، ام ان الوضع ما هو الا شعب وقيادة، حكومة واهالي كما يقول اشقائنا المصريون، ولا وجود للطبقات. وهنا لنا ان نسأل كيف تنظم العلاقة ما بين القيادة او الدولة وما بين الشعب كطبقات او بدون طبقات.

٤- ماذا نقصد بالتحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وربما الثقافي ايضا؟ وهذا ما يقودنا لسؤال آخر هو، ما هو موقفنا من قوانين الاقتصاد العالمي الذي هو اقتصاد رأسمالي بالطبع، هل هي قوانين ازلية-ابدية، ام انها مستحدثة، وهل هناك ضرورة للسير وفقها لكونها قوانين «طبيعية وقوانين فطرة» او لكونها قوانين قوية لا يمكن الفكاك او الخلاص منها. ام ان هذه الضرورة غير مطروحة، وفي هذه الحالة ماذا يمكننا ان نفعل، سيما واننا خبرنا ما اسماه السوفييت بالتطور اللارأسمالي، هل الضرورة ستدفع بنا الى الاشتراكية، والسؤال هو اية اشتراكية، هل الاشتراكية العلمية الماركسية، ام «الاشتراكية-العلمية» غير الماركسية كما طرح الزعيم جمال عبد الناصر ام ان بالامكان الحديث حول اشتراكية قومية، او وطنية، او حتى اسلامية. وعلى فرض اننا توصلنا الى اشتراكية ميترلن وكرايسكي وحزب العمال البريطاني وحزب العمل الاسرائيلي ... الخ،

Digitized by Birzeit University Library

فهل السيطرة في السوق ستكون للقطاع الخاص ام للقطاع العام، وحتى هذا القطاع العام، هل سيسير وفق قوانين السوق الرأسمالية ام انه سينتقي وينوع ما طاب له من القوانين والنظريات؟.

وكما ترى عزيزي القارىء، فان هذه الاسئلة لا نهاية لها، ليس هذا لكونها سفسطائية او بيزنطية كما يحلو لبعض الجهلة بتسميتها، بل ان هذا يعود لزخم الموضوع وثراءه، واخيرا لاهميته.

وعلى كل حال، فان البحث في موضوع التحرر القومي وما سيلحق به من وحدة قومية وتبؤ المراكز العليا بالنسبة للدولة القومية ما بين دول العالم الثالثية، مسألة ترتكز على التحرر الاقتصادي بالدرجة الاولى، وعندما اقول تحرر اقتصادي، فلا اعني كما يعتقد بعض المفكرين السوسيولوجيين، امثال ن.تيماشيف من انني سافسر المجتمع والتاريخ والسياسة بعامل واحد هو العامل الاقتصادي، وبالتالي ادخل الدائرة التي ابتدعها هذا السوسيولوج والتي دعاها «بالحتمية الاقتصادية»، كلا، بل ان ما اعنيه هو ان التحرر الاقتصادي هو التحرر من اقوى علاقة تربط ما بين الدولة الامبريالية (دولة المركز) والدولة التابعة (دولة الطرف) على حد تعبير الاقتصادي الارجنتيني البارز راؤول بريبيش. ان كل مشاكل الدول التي تحررت من الاستعمار ذو الطراز القديم (اي القائم على الاحتلال العسكري للبلد) تكمن في عودة الاستعمار ثانية الى البلد عن طريق النظام الحاكم وهو عسكري في غالب الاحوال، وهذا ما يعبر عنه القول التالي: «اخرجنا الاستعمار من الباب فعاد الينا من الشباك» وبالطبع فان الاستعمار يعود عن طريق المساعدات المالية والقروض، واستيراد التكنولوجيا واستثمارات رأس المال الاجنبي عن طريق شركات متعددة الجنسية او حتى منظمات غير حكومية ... بمعنى آخر، ان موجة الازمة الاقتصادية هي التي تحمل الاستعمار وتعيده تحت اسماء وشعارات مختلفة كالتنمية والتحديث وما الى ذلك.

من هنا فان التحرر القومي وعلى كل الاصعدة، يبدأ بالتحرر الاقتصادي. ما هو التحرر الاقتصادي؟.

للاجابة على هذا السؤال يتعين علينا التعامل مع بعض المقولات الاقتصادية-الاجتماعية وفهمها بشكل سليم، كذلك ادراك العلاقات المتبادلة ما بينها، ولكن وخوفا من الانزلاق في المدرسية سألجأ الى طرح هذه المقولات في سياق الكلام.

ان التحرر الاقتصادي هو عملية طويلة ومترابطة الحلقات تبدأ بالتبلور، اي انتقال البلد من بلد تابع (او طرف) الى بلد نصف تابع واخيرا الى دولة مركز، وتنتهي بتصدير رأس المال وهو عادة وضمن علاقات الانتاج الرأسمالي يكون بهدف السيطرة الامبريالية.

ان تاريخ العالم الثالث التابع هو عبارة عن سلسلة من محاولات التبلور، يقابلها عمليات اجهاض تقوم بها الرأسمالية العالمية (الاستعمار بشكليه القديم والحديث) فالرأسمالية العالمية غير معنية بتحول دول الاطراف الى دول مراكز تنافسها على قوى العمل والمواد الخام والاسواق ... الخ هذا القمع المستمر والناجح هو ما يقود عادة البرجوازية المحلية للتحول من برجوازية صناعية منافسة الى برجوازية كومبرادورية مسوقة للبضائع الاجنبية وهو ما يدفع البلاد -كما حدث في مصر السادات- من دولة تحاول التبلور-ايام عبد الناصر- الى دولة انفتاح، تعمل على تدمير محاولات ضمان تكامل واستقلال الصناعة، والتخلي عن مشاريع الاكتفاء الغذائي والخضوع للرأسمال العالمي وفتح الابواب امام الاجتياح الثقافي ... الخ

يقوم السعي من اجل التبلور على «التنمية المتمحورة على الذات» وعندما نقول متمحورة على الذات فلا نعني بذلك قطع جميع علاقات التبادل الخارجي او التقوقع على الذات ثقافيا والعودة الى الماضي او ما يعرف بالسلفية ونبذ «الافكار المستوردة»، بل اننا نعني قبل كل شيء الاعتماد على المصادر المحلية والسيطرة على التراكم خلال العملية الانتاجية.

ان السيطرة على التراكم وعدم تهريب الفائض المالي للخارج بل مركزته داخل البلد وحماية الانتاج الوطني من المنافسة الاجنبية عن طريق الحماية الجمركية (او الحماية الشعبية في حالة المناطق المحتلة) والحفاظ على الموارد الطبيعية (بترول، معادن، مياه ...الخ) هي الطريق المعبدة نحو التبلور، ولكن هل بالامكان تطبيق عملية التمحور على الذات بدون تحديد العلاقة ما بين البلد الطرف وما بين الدولة الامبريالية (اي المركز)، والجواب كما تقدمه خبرة دول العالم الثالث تقول ان هناك ضرورة لتحديد العلاقة ما بين المركز والطرف للوصول الى التبلور وهذا لا يكون الا بفك الارتباط.

ان فك الارتباط هو شرط التنمية بالتمحور على الذات، ويكون برفض معايير النظام الرأسمالي العالمي للترشيد الاقتصادي الداخلي، اذ ان هذه المعايير محكومة بقانون القيمة، هذا القانون الذي نلاحظ تجلياته في الحديث عن الخيار ما بين الانتاج المحلي والاستيراد من الخارج.

ان دولة طرف لا تسعى للتبلور والتحول الى دولة مركز عن طريق التمحور على الذات وفك الارتباط والسيطرة على التراكم لن تتمكن من التحرر الاقتصادي ولا الاجتماعي ولا السياسي ولا الثقافي ... الخ.

هنا يبرز لنا سؤال هام هو، هل بامكان

Digitized by Birzeit University Library

المشروع القومي ان يؤدي الى التحرر الاقتصادي؟

تفيدنا التجربة التي خاضتها وتخوضها بلدان العالم الثالث ان المشروع القومي لا يمكن له ان يحقق عملية التبلور ضمن قوانين الانتاج الرأسمالي، فهذه القوانين في عصر الامبريالية المعاصرة خلقت سوقا عالمية لا يمكن الفكاك منها الا بالخروج عليها، اي ان اي نظام حكم لا يمكن له ان يحقق عملية التبلور ضمن قوانين الانتاج الرأسمالي، لان هذه القوانين تجذب بشكل موضوعي البلد الطرف الى السوق العالمية، وهذا ما يؤدي الى اجهاض مشروع السيطرة على التراكم.

من هنا فان هذا البلد معني باعادة ترتيب اموره بشكل مغاير «للمألوف» اي للقوانين السائدة القائمة على الملكية الفردية لوسائل الانتاج.

ان البلدان الامبريالية غير معنية بتبلور اية دولة طرفية وبالتالي فانها تستخدم قوى قوانين السوق العالمية ضدها، هذا الى جانب افتعال مشاكل من انواع متعددة للبلد الطرف، كالمشاكل السياسية او ضربها عسكريا.

من ناحية اخرى فان سعي اي بلد للتبلور والسيطرة على التراكم سيؤدي به الى الاصطدام بالبرجوازية المحلية وهي كبرجوازية بغالبيتها لكونها طبقة خاسرة تاريخيا في صراعها مع الامبريالية وبالتالي فهي معنية بمشاريع تجارية مضمونة الارباح، بدل المشاريع الصناعية الوطنية والسيطرة على التراكم التي تنظر اليها بعين المغامرة والمقامرة.

خلاصة القول ان التحرر بكل معانيه العامة والخاصة لا يمكن ان يتم الا بالخروج على قوانين الانتاج الرأسمالي القائمة على الملكية الخاصة، وتطبيق الاشتراكية العلمية اي الماركسية بشكلها ومحتواها الثوريين وليس على النمط السوفييتي او الصيني.

اذن يتضح لنا ان بالامكان للمشروع القومي ان يؤدي الى التحرر، شريطة ان يطلق الرأسمالية ويضفي حساباته مع البرجوازية المحلية التي ترفض التمحور على الذات وترفض السيطرة على التراكم لان في ذلك حرمانها من جشعها الاستهلاكي، ويتجه الى طبقة اجتماعية-اقتصادية اخرى يعتمد عليها في اعادة تشكيل بنية البلاد الاقتصادية.

انا اقترح-الاقتراح بالاساس هو اقتراح التجربة التاريخية-الطبقة العاملة المدينية وحلفائها في الريف من مزارعين صغار وفلاحين فقراء وهؤلاء يشكلون الاغلبية الساحقة في بلدان الاطراف.

قد يحتج القارىء بالقول انني وبكل ما تحدثت عنه فقد غيبت مسألة الديمقراطية ونظام الحكم والحرية السياسية والثقافية وغير ذلك ...

لكنني وفي سبيل تطمينه اقول ان ديمقراطية وحرية سياسية وثقافية وغير ذلك لا يمكن لها ان توجد وبشكل حقيقي وبعيد عن هيمنة الدول الامبريالية الا اذا حققت البلد التبلور وحقق شعبها كفايته الذاتية من غذاء وصناعة ومواد خام ولم يعد تابع ذليل يدور في الفلك الامبريالي. وعلى كل حال فان مسألة الديمقراطية والحرية السياسية والثقافية هي مواضيع مرتبطة مئة بالمئة بموضوعنا وهو التحرر الاقتصادي، لكن خصوصيتها تقتضي اخذها على حدة، ولكن ليس قبل التمهيد لها بالحديث عن التحرر الاقتصادي.

*****

اميل حبيبي في خرافية (سرايا بنت الغول)

عن دار عربسك للطباعة والنشر في حيفا، صدر في مطلع العام الجاري، للكاتب الفلسطيني الكبير اميل حبيبي رائعة روائية جديدة تحت عنوان «خرافية سرايا بنت الغول».

تقع الرواية الجديدة للكاتب الكبير في ١٨٤ صفحة من الحجم المتوسط، وقد زين غلافها بلوحة للفنان غرشون كنيسبل.

ومن الجدير بالذكر هنا، ان رائعة اميل حبيبي الجديدة، تأتي ضمن عدة روايات صدرت له منذ عام ١٩٦٧ وترجمت الى العديد من اللغات الاجنبية ومن بينها سداسية الايام الستة، المتماثل ولكع بن لكع.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر الثالث والاربعين للانتفاضة

مع صدور هذا العدد من المجلة تنهي الانتفاضة شهرها الثالث والاربعين، وتدخل شهرها الرابع والاربعين، وسط اجراءات اسرائيلية محمومة للقضاء عليها. وقد سقط خلال الشهر الماضي (١٠) شهداء. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة (١٠٨٠) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الماضي:

جماهير غفيرة تشيع الشهيد جلال شهواني في قريته بيتللو/رام الله

الثلاثاء ١٩٩١/٥/٢٨

- جلال عبد الله شهواني (٣٩ عاما) قرية بيتللو/رام الله. عثر على جثته في احدى ضواحي تل أبيب حيث يعمل بعد اصابته بثلاث رصاصات في رأسه.

الخميس ١٩٩١/٦/٦

- محمود اسماعيل صالحه (٢٨ عاما) بني نعيم/الخليل. قتل في اسرائيل على خلفية عنصرية وقد عثر على جثته في منطقة صخرية قرب عرابه البطوف في الجليل وعليها آثار عنف.

الجمعة ١٩٩١/٦/٧

- محمود محمد النواجعة (٦٠ عاما) يطا/الخليل. قتل - بعيار ناري على يد مستوطن من مستوطنة «سوسيا» المجاورة للقرية.

السبت ١٩٩١/٦/٨

- عيسى عبد الرحمن ابو حلتم (٣٢ عاما) ترقوميا/الخليل. صدمته سيارة عسكرية يوم ٦/٥.

- علي حسن عبد الحليم شاهر (١٥ عاما) مدينة طولكرم. استشهد اثناء التحقيق معه في مركز الادارة المدنية علما بان السلطات ادعت بأنه اصيب بنوبة قلبية خلال التحقيق.

الثلاثاء ١٩٩١/٦/١١.

- ابراهيم محمد ابو صفية (١٤ عاما) قرية بيت سيرا/رام الله. اصيب بعيارات نارية في ساحة المدرسة.

الاحد ١٩٩١/٦/١٦

- اياد محمد صالح زوايته (١٦ عاما) زواتا/نابلس. متأثرا بالجراح التي اصيب بها يوم ٦/١٢.

الاحد ١٩٩١/٦/٢٣

- عزام ايوب شحدة الزغير (٢٣ عاما) الخليل. أصيب بالعيارات النارية قرب دائرة الترخيص أثناء المصادمات.

الجمعة ٢٨ ١٩٩١/٦

- صقر عازم محمد أسعد نعسان (١٤ عاما) قرية المغير/رام الله. أصيب برصاصة قاتلة اخترقت صدره وقلبه وخرجت من ظهره.

السبت ١٩٩١/٦/٢٩

- حسن محمد حمد (٢٩ عاما) مخيم الشاطىء/قطاع غزة. جراء انفجار عبوة ناسفة.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني واهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

مستويات الخطاب في قصيدة محمود درويش

«مأساة النرجس وملهاة الفضة»

د. عبد الكريم ابو خشان
خانيونس

ما ان نشرع في قراءة احد النصوص الشعرية لمحمود درويش حتى تفاجئنا هذه اللغة المنفتحة على آفاق مترامية تجعل من محاولة الدخول الى عالم النص مغامرة تكتنفها التساؤلات، ذلك ان لدى الشاعر طاقة غير عادية على اتيان موضوعه من منافذ غير مألوفة، كما ان خصوصية موقعه وموقفه تزيد من حرج المحاولة.

ما من شك في ان لغة الشاعر هي خلاصة لتجربته الثقافية والنفسية، بل ولتكوينه الشكلي وعلاقاته الاجتماعية منذ ايام طفولته الاولى حتى آخر لحظة متوترة اثناء مباشرته لما يكتب، وشاعرنا، وفقا لهذا المعيار، ذو تجربة متميزة، بل ومعقدة الى حد بعيد، وهنا نرى من الضروري القول بأنه لا تكفي تجربة متميزة في المكان والزمان وكثرة الاحداث التي عصفت بها لان تمنح شعرا متميزا، بل لا بد من حساسية خاصة واستعداد فردي مختلف لكي يقدر على اعادة تشكيل هذه التجربة في اطار فني، ولتتحول - اي التجربة - الى احد المحاور الرئيسية المكونة لخصوصية الشاعر.

خصوصية صوت محمود درويش:

لعل الملابسات السياسية والثقافية التي اكتنفت اول لقاء بين شعر م. درويش والقارىء قد اسهمت الى حد بعيد في صنع هذه الخصوصية، ولقد اصبحت هذه الملابسات من البداهة والعموم بحيث تعفينا من جهد التريث امامها واعادة تحليلها، ولكننا، ورغم كل هذه البداهة، مدفوعون من آن لاخر لان نستعيد واحدا او اكثر من هذه الملابسات، نظرا لانها لا تزال تعمل وبنشاط بالغ، في تشكيل الصوت الشعري لمحمود درويش.

ان الخطاب في شعر م. درويش لا بد له ان يكون مختلفا ومتميزا عن غيره في اشعار الاخرين، وذلك مع ادراكنا ان الاختلاف ضرورة لازمة في كل تجربة شعرية، ولكن ما نهدف الى بيانه هو ذلك الاختلاف في مستويات الخطاب، فالشاعر يقف على كم هائل من المنجزات الوطنية، الثقافية والفنية، ولسنا نقرر في هذا المجال حكما فكريا او نسجل موقفا، بل نسعى غاية جهدنا لان نتقدم من النص بأكبر رصيد ممكن من الموضوعية، مقدمين بين يدي القارىء بعض المعطيات الضرورية المشاركة في إضاءة المحيط العام للنص قبل مخاطرة الولوج الى التفاصيل.

بديهي ان قضية الوطن قد غدت محور الخطاب في شعر م. درويش، وهو لا يملك الان ان يكسر او يستبدل هذا المحور الا بصعوبة بالغة او مستحيلة، فهو لو غنى لعيني امرأة في احد مقاهي باريس فانه لا يمنع القارىء من ان يرى في الاغنية صورة "حيفا" او

Digitized by Birzeit University Library

صفصاف الكرمل، كما انه لو انشد لسور الصين العظيم، فقد يقرأ على انه ملحمة جديدة لشلال دماء الشهداء فوق ارض الوطن او في الطريق اليه.

لا يماري احد بجدوى هذه الفكرة او "شرفها" بتعبير نقدنا القديم، ولكن شاعرنا يتمتع بموهبة فذة في طرق موضوعه من وجوه عديدة، الامر الذي يجعله طازجا على الدوام وقادرا على تفتيق معانيه من ابسط الكلمات، وأدناها من ذائقة القارىء:

الى اين اذهب؟

ان الجداول باقية في عروقي

وان السنابل تنضج تحت ثيابي

وان المنازل مهجورة في تجاعيد كفي

...

(١)

او قوله:

قد ذهب العمر،

ولم اذهب مع العمر الى هذا المصاء

وسأبقى في انتظارك...

...

(٢)

ان ذلك يتجاوز حتما مشكلة تفسير النص او فك رموزه واسقاطاته الفكرية واللغوية الى قضية ابعد غورا هي العلاقة المتفاعلة بين الشاعر وقارئه، ولسنا نزعم ان الشاعر محكوم على الدوام او حتى غالبا بذوق وفهم قارئه، بل كثيرا ما يتنكب - والكلام لا يزال عن درويش - لهذا الذوق، ويتجاوز ذلك الفهم في ادعاء - صادق غالبا - لان يرقى بهذا الفهم من مستوى المدرك والسهل الى مستوى المستشعر والموحى.

لقد ابتدأت هذه العلاقة بالمقولة الشهيرة "ارحمونا من هذا الحب القاسي"، وهي عدا كونها محاولة ذكية للاستغناء عن التعاطف المجاني للقارىء مع النص، في اتجاه حث هذا القارىء - أيا كان موقعه - على تفعيل عملية الابداع، فانها قد تواصلت فيما بعد حتى بلغت رفض رغبة الجمهور وفهمه حين طلب اليه في بيروت منتصف السبعينات بأن يقرأ قصيدته الشهيرة "سجل... انا عربي!" عامدا الى قراءة قصيدته "سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا"، في اشارة منه الى تطور بل تحول مستوى الخطاب الشعري لديه.

ندرك الان، بعد التقديم بهذه المعطيات الاولية ان تضافر عناصر الخصوصية في صوت م. درويش يسهم الى حد كبير في كيفية تشكيل اللغة التي تربطه بقارئه، انها لغة اقل ما يقال عنها بأنها "تراكمية" اي لا يكن استبطان عالمها الدلالي دون ادراك واع ويقظ لمراحل نمو وتبلور العلاقة بين الذات وموضوعها من جهة، وبين الشاعر وجمهوره من جهة اخرى.

ان ثقة الشاعر بتواصل العلاقة مع قارئه تسمح له بأن يبدأ قصيدة ما بضمير الغائب، وهو اذ يفعل، فانما يتكيء على هذا الرصيد الكبير من حضور معطيات الموضوع او ما يمكن تسميته "بمفاتيحه" التي استقرت ورسخت عبر رحلة التواصل:

عادوا...

من آخر النفق الطويل الى مراياهم.. وعادوا

حين استعادوا ملح اخوتهم فرادى او جماعات، وعادوا

من اساطير الدفاع عن القلاع الى البسيط من الكلام

لن يرفعوا، من بعد، ايديهم ولا راياتهم للمعجزات اذا ارادوا

عادوا ليختفلوا بماء وجوهم، ويرتبوا هذا الهواء

ويزوجوا ابناءهم لبناتهم، ويرقصوا جسدا توارى في الرخام

ويعملوا بسقوفهم بصلا.. وبامية.. وثوما للشتاء

وليحبطوا اشداء ماعزهم.. وغيما سال من ريش الحمام (١)

حين نقف امام نص كهذا، ونعلم انه فاتحة لقصيدة بالغة الطول (١٧ صفحة)، ندرك اننا معنيون بالتريث، بل بالمكوث طويلا امام هذه السطور، بل وبتحديد اكثر امام الجملة الفعلية "عادوا".

لعلي استميح القارىء عذرا لان اقرر بين يديه بأنني من اولئك الذين يعتقدون بجدوى امعان النظر في المقدمات زاعما انها تكتنز بدلالات الفكرة المحورية للقصيدة، معللا ربما ذلك بخصوصية علاقاتها بالشاعر، فهي تجيئنا، في الاغلب الاعم، من المنطقة الفاصلة بين الوعي العقلي والوعي الفني لقريحة الكتابة:

عادوا"

العودة هنا عبارة مفتوحة على دلالاتها كافة، فهي كما نرى حدث جماعي يشير الى بلوغ الفعل حدا ما، ثم انثنائه في اطار حركة الارتداد الطبيعية بغرض بلوغ نقطة الاستقرار او ربما التهيؤ من جديد لبدء فعل، معاكس بالضرورة لفعل العودة، بيد ان الامكانية الاخيرة هذه (حركة ثانية معاكسة لفعل العودة) تبدو ضعيفة اذا ما تقدمنا قليلا في قراءة المقطع:

من اخر النفق الطويل الى مراياهم

حرفا جر (من، الى) حددا آفاق فعل العودة، فقد بدأ من آخر النفق لينتهي الى المرايا، وهي ليست مجرد مرايا، بل مضافة الى الضمير الجمعي "هم" الامر الذي يشير بشيء من الوضوح الى ذواتهم،

(١) من ديوانه: محاولة رقم "٧" طبعة الاسوار ١٩٧٧، ص ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

Digitized by Birzeit University Library

من ناحية اخرى، فان دلالة "النفق" تكاد تكون قريبة التناول، خاصة اذا ما تأملناها في سياقها الحركي، فالحدث قد بدأ من آخر هذا النفق حاملا معه بعض دلالات النكوص او الارتداد الارادي والهادف الى مراجعة الذات واسكتناه حقيقة طاقاتها على ضوء واقع جديد.

ان مفهوم العودة في حد ذاته ليس غريبا عن قاموس التجربة الفلسطينية، بل لقد شكل مرتكزا اساسيا في توجيه وتطوير نشاطهم العملي والاجتماعي والنفسي والثقافي على نحو عام، فمن تغيير تعبير اللاجئين الى العائدين في بعض المراحل، ثم امتلاء الثقافة الادبية بهذا التعبير (عائد الى حيفا - غسان كنفاني، نشيد "عائدون" لهارون هاشم رشيد، اغاني العودة، عودة الغرباء ... الخ) ثم في حركة بعث التراث الوطني في اطار محاولة استحضار ارادي للمكان رغم تواتر حركة الزمان.

والعودة قبل هذا وبعده مفهوم مشترك بين الخصمين، وحيث ان المكان المراد العودة اليه واحد، فان عناصر تأكيد الانتماء الى المكان عينه تصبح ذات قيمة مضاعفة في اضفاء المصداقية والحتمية في فعل كل منهما.

وبما ان العودة المادية معرقلة آنيا في وجه الجانب الفلسطيني، فان الشاعر يتكىء كثيرا على الدلالة الطبيعية لهذا المفهوم، فهي اشبه ما تكون باستعادة الوعي البسيط، او بمعنى ادق البساطة الواعية، بساطة التوافق مع النداء العميق للطبيعة الانسانية فيتكرر فعل العودة مرات عديدة، ولكنه ليس تكرارا عقويا او زائدا بل ليحمل في كل مرة جزئية جديدة تضيف ملمحا لوجه هذه العودة:

من آخر النفق الطويل الى مراياهم
من اساطير الدفاع عن القلاع الى البسيط من الكلام

فالاسطورة بمفهومها العام محاولة لاخضاع غير الممكن او بعيد المنال الى منطق الممكن او المتحقق فعلا، لذا فان ورودها هنا، وعلى هذا النحو يشير الى انتصار منطق البسيط الممكن على الاسطوري، ولكن ذلك يتجاوز مجرد مفهوم الانتصار الى الاعراض عن الالحاح على غير الممكن، وذلك بعد «اكتشاف» جدوى، بل عبقرية البساطة.

عادوا لانهم ارادوا
واستعادوا النار في نهاياتهم

وبعد هذا التركيز في الرمز، والحرص الشديد في توجيه الدلالة تأخذ المعادلة بالاستغناء عن شقها الاول، وهو ذلك الذي يشير الى نقطة بدء فعل العودة، او ذلك المتبوع بحرف الجر «من»، ويأخذ الشاعر في تفريغ الشق الثاني:

عادوا ..... الى ....
عادوا ..... لـ ....
عادوا ..... لكي ....
عادوا ..... على ....

فلنتأمل:

عادوا لـ يحتفلوا بماء وجودهم
... - ويزوجوا ابناءهم لبناتهم
... - ويرتبوا هذا الهواء
(١) ... - ويرقصوا جسدا توارى في الرخام
... - ويحفلوا بصلوقهم بصلا ... وبامية ... وثوما للشتاء
... - ليحلبوا اثداء ماعزهم
... - وفيما سال في ريش الحمام

عادوا على اطراف ماجسهم
(٢) ... الى جغرافيا السحر الالهي
... الى بساط الموز في ارض التضاريس القديمة

نرى من هذا التنسيق ان «الغاية» من فعل العودة تشتمل على كم كبير من اوجه نشاط الانسان، بل ان هذا التنوع يوحي بشمول مجمل النشاط الانساني يحتفلوا - يرتبوا - يزوجوا - يرقصوا، يعلقوا - يحلبوا ... الخ انها افعال غير متقاربة في الطبيعة، ولكنها تلتقي جميعا عند ضمير الجماعة «هم» المفعل لها. من ناحية اخرى فاننا نلاحظ ان المجموعة الثانية قد اشتملت على وصف للكيفية التي تم بها فعل العودة، وهو وصف يشير باعتمادهم على حاسة استشعار تفوق القدرة العقلية التعليلية التحليلية، انه «الهاجس»، ذلك الشيء الذي لا يخطىء؛ لمجرد انه متوافق مع الطبيعة، متوافق مع ابسط اشكال المعرفة الانسانية، ولكنه يشتمل على اكبر قدر من الصدق واوفر حظ من النجاح.

في خطوة تالية من هذه المجموعة يتقدم الشاعر ليصف «المكان» ولكنه لا يملك ان يضع له حدودا، بل يشير له بكلمة «جغرافيا»، وهي جغرافيا اقل ما يقال عنها انها خاصة جدا:

جبل على بحر
وخلف الذكريات بحيرتان
وساحل للانبياء
وشارع لروائح الليمون ...

تلك حدود المكان التي ارتضاها الشاعر لتختصر العلاقة بين الانسان والوطن، وهي كما نرى عناصر لا يمكن للزمن او للفعل الانساني العابر ان يطمسها، لذا فان فعل العودة يؤكد ضرورة الانتماء، اما العناصر السلبية التي تعاملت مع هذا المكان، فانها عناصر متحركة او بالاحرى عابرة، كما ان علاقتها بالمكان سلبية، فهي «وافدة» وليست «عائدة»، وبالسرعة التي تعلن عن وجودها في

Digitized by Birzeit University Library

المكان، فانها ما تلبث ان تجلو عنه، تماما كما الرياح او العواصف:

هبت رياح الخيل

والهكسوس هبوا، والتتار مقنعين وسافرين

وخلدوا اسماءهم بالرمح او بالمنجنيق

... وسافروا

هذه اللوحة من العنف والحركة العابرة السريعة تبدو في غاية الضعف امام حتمية عودة الحياة لاكثر الاشياء بساطة، انها عبقرية الحياة الهازمة لاعتى القوى، بمجرد تكرارها او «عودتها»:

لم يحرموا ابريل من عاداته ... يلد الزهور من الصخور

ولزهرة الليمون اجراس، ولم يصب التراب بأي سوء،

اي سوء بعدهم، اي سوء بعدهم ...

بهذا المقطع القصير، يتجاوز الحديث عن «العابرين» موائما على نحو جيد بين فعلهم وزمن مكوثهم في المكان، وخوفا من اختلاط الضمائر بين «هم» العائدة على الفعل «عادوا» وبين هؤلاء «المقنعين والسافرين» فانه يذكرهم بالاسم: التتار والهكسوس، ويذكرهم بالفعل:

خلدوا اسماءهم بالرمح او بالمنجنيق

وهو تخليد اقل ما يقال عنه انه ملىء بسخرية وتهكم «البسطاء»، خاصة اذا ما راجعنا لغة الخطاب في قصيدته السابقة لهذه «عابرون في كلام عابر» والتي اثارت ضجة كبيرة في الاوساط الاسرائيلية والعالمية.

بعد ذلك ينتقل الشاعر الى الجزء الاساسي والمحوري الذي تدور عليه القصيدة ونعني به الضمير الفاعل في جملة «عادوا»، ف «هم» يتحولون بعد ذلك الى ملحمة متتابعة الفصول بين الوصف والسرد ولغة الحلم والحكاية، والنشيد الجماعي والاغنية الكسيرة المجروحة، وهم في كل الاحوال ببساطه متألفين مع طبيعتهم حال «الشعير الذي ينبثق من الشعير» لذا فهم ليسوا معنيين بتقديم وثائق انتمائهم للمكان الا بقدر ما يمكن لابريل ان يقدم دليلا على عادة استولاده «للزهور من الصخور».

ان استبقاء الرمز محتفظا بجزء من ضبابيته يمنح الخطاب الشعري قدرا اكبر من الحيادية، وتجنب الشاعر منزلق توريط «الانا» الفردية في توجيه التوارد الابداعي، لذا فان تطور لغة القصيدة لا يكشف الكثير من قسمات هؤلاء الذين «عادوا» ويبقي ماهيتهم رهن مجموعة المفاهيم ذات التوجه الايجابي:

استعادوا النار في نهاياتهم ...

ضمنوا خرافتهم كما شاءوا ...

شادوا للحصى الق الطيور ...

كلما مروا بنهر ... مزقوه ... واحرقوه من الحنين ...

قلوبهم حبات لوز في الشوارع...

بيد ان هذه اللغة الملحمية ما تلبث ان تتسارع شحنتها الشعورية وتعلو وتيرتها في ايقاع تصاعدي الى ان تبلغ ذروة محدبة لا تملك اللغة المحايدة تجاوزها، فيلجأ الشاعر انئذ الى تحويل الخطاب الى مجرى غنائي يسمح بحضور آني للضمير الغائب، ولكنه حضور خصب ومتوقد، يضفي على العناصر حيوية الكينونة فتغدو صوتا وطاقة ينضافان الى صوت وطاقة «نحن» الجماعية:

يا نشيد، خذ العناصر كلها

واصعد بنا سلحا فسفحا

واهبط الوديان ... هيا يا نشيد

فانت ادرى بالمكان

وانت ادرى بالزمان

وقوة الاشياء فينا

هذا المقطع يتردد بين الحين والاخر في بقية مقاطع القصيدة مشكلا ما يمكن تسميته بـ «اللازمة»، وذلك من شأنه اتاحة الفرصة لالتقاط الانفاس ولملمة شعث الدلالة الموضوعية للمقاطع التي سبقته، وهو في بنيته الفنية مقطع غنائي يجيء وكأنه صوت «الجوقة» في «المأساة - الملهاة» التي ارادها درويش ان تجتمع في كتابته الملحمية.

ان صوت «الجوقة» هنا لا يسرد ولا يتحرك افقيا في اتجاه تطوير احداث معينة، بل هو ذو حركة رأسية يسهم في تعميق الاحساس «بالانا» الجماعية عبر مخاطبة النشيد ذاته والطلب اليه من خلال ثلاثة أفعال متتابعة «خذ»، «اصعد»، «اهبط» ان يمتثل للارادة الجماعية التي تعلن عن حضورها في مواكب العطاء.

ان من شأن لغة الخطاب هنا ان تمنح النشيد طاقة لا متناهية في اتجاه تغيير حيثيات الزمان والمكان، فهو، اي النشيد، يملك ان يحمل «العناصر» كلها، وهذا في حد ذاته تجاوز لكل قوة معلومة فوق الارض بل وفي الكون كله، فالعناصر هي مكونات الوجود قاطبة، المدركة وغير المدركة، وحين يطلب الشاعر الى النشيد ان يأخذ العناصر، فانه في الواقع يتحدث بلغة جدلية تحتمل ان يتناوب كل من الفاعل والمفعول الادوار، الامر الذي يمكن «العناصر كلها» من حمل النشيد، وهذا بدوره يؤدي الى حملها لدلالات الاولية والكامنة في هذا النشيد الفلسطيني، وتكتمل هذه الحلقة الشعورية في بقية المقطع حين يوجه الشاعر خطابه الى النشيد مؤكدا على «داريته»:

انت ادرى بالمكان

وانت ادرى بالزمان

وقوة الاشياء فينا ...

ما من شك ان تفاعل عنصري الزمان والمكان في الوجدان

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني يشكلان مجموع حساسيته بالاشياء، فهما ركنا هويته المسلوبة او موضع الجدل، وحين يجيء الشعر او النشيد، متضامنا مع هذين الركنين (الزمان والمكان) فانما يفعل عبر لحظة وعي او اشراق جماعية، يحركها فعل غير عادي هو اشبه ما يكون بالصحوة او الانتفاضة، والتي تفجر في الانسان كل طاقات الخصوبة والعطاء.

يبقى استعراضنا لبعض جوانب الخطاب الشعري في هذه القصيدة جزئيا ما لم تتوفر دراسة اخرى تعنى بالجانب الدلالي في لغتها، وتفتح السبيل الى القارىء الى تبيين علاقتها بالواقع وهذا ما سنعمل على اعداده.

*****

اسماء فخاريات الازمنة الماضية

الامفورات من بين اكثر الاشياء الفنية القديمة شيوعا، فصنعها زهيد الكلفة وهي عبارة عن أنية فخارية يمكن التخلص منها وتصنع بكميات كبيرة وتستخدم في نقل كل شيء: من النبيذ الى زيت الزيتون وصلصة السمك والجور والبندق واللحوم والكلس والقار .. وغيرها. وكانت الامفورات تصدر الى القواعد المتقدمة للامبراطورية الرومانية، والى بريطانيا والهند، ولكنها ارتبطت بشكل خاص بتجارة النقل البحري في البحر الابيض المتوسط وكانت قواعدها المدببة تسمح بمراكمتها في طبقات متداخلة، وبحملها وسكب محتوياتها بسهولة.

وكانت هذه الجرار تستوعب ما يتراوح بين ٢٠ و ٦٠ لترا، ويحملها رجل واحد او رجلين بسهولة. ولقد شوهدت امفورات مصنوعة منذ الالف الثاني قبل الميلاد في الشرق المسيحي والكنعاني. واستمر التجار البيزنطيون والعرب في الالف الاول بعد الميلاد في استخدامها بالرغم من تقلص انتاج الفخارات في تلك الايام ومن ان البراميل القابلة لاعادة الاستعمال اصبحت اكثر شيوعا. وتعكس جرار الزيتون الاسبانية التي تعود للقرنين السابع عشر والثامن عشر استمرار هذا التقليد، ومازالت الجرار ذات القبختين تستخدم حتى اليوم في شمال افريقيا ومصر لحفظ الماء ونقله.

وتمكن معرفة تاريخ صنع الامفورات والمكان الاصلي لصنعها، وتستطيع الامفورات ان توفر اساسا للاحصاءات التجارية الاقرب مما جعل دراستها موضوعا اساسيا في علم الآثار الروماني. وكان اول من وضع اسس دراسة الامفورات في القرن التاسع عشر الباحث الالماني هنريخ دريسل، الذي كاد يعمى وهو يسجل بعناء علاماتها المنقوشة عليها كالاختام المدموغة، والنقوش الملونة التي تشير الى مكان الصنع او اسم الصانع او المحتويات.

ويمكن للاشكال الخاصة لهذه الجرار ان ترتبط في كثير من الاحيان بمكان الصنع وتاريخه، بل وحتى بالمحتويات احيانا. وهكذا، فان الامفورة الطويلة الاذنين دريسل ١ هي امفورة نبيذ ايطالية مما بين القرنين الثاني والاول قبل الميلاد، وتلك الكروية المصماة دريسل ٢٠ هي امفورة زيت من جنوب اسبانيا من القرن الاول الى القرن الثالث للميلاد، والاخرى الاسطوانية، دريسل ٢٧ شكل متأخر نموذجي من شمال افريقيا.

ويعثر على الامفورات الرومانية على اليابسة، غالبا، في مستودعات المهملات للفخارات المرمية قرب ما كان رصيف ميناء او سوقا. ومنذ الخمسينات واكتشافات حطام السفن الهامة تساهم في البحث. ولقد اصبحت تقنيات التمييز اكثر دقة وتطورا، وصارت دراسات علم الصخور الرقيقة المقطع والدراسات المجهرية للخزف امورا عادية. ويمكن لخليط معين من الطين في امفورة ما ان يكون نموذجيا بالنسبة للشكل او لمكان الصنع. ويمكن لتحليل التنشيط النيوترونى neutron activation analysis (تحليل تنشيطي يرجم فيه النموذج بالنيوترونات، ثم يتعرف عليه بقياس الظائر المشعة) المستخدم في دراسة العناصر الشحيحة في الطين ان ينسب كسرة الجرة الاثرية الى منطقة معينة او الى مجموعة من المواقد التي يشوى الفخار فيها، ولكن الامر يعتمد على توفر عينات محلية عديدة من اجل المقارنة.

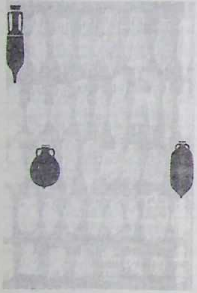

واحد مجالات الدراسة الاخرى العامة مازال قيد التطوير، وهو دراسة محتويات الامفورات من خلال استشراب chromatography الغاز والسائل عالي الضغط للتعرف الى لبهدات زيت الزيتون التي تشربتها كسرات الامفورة، مثلا.

عن مجلة «آفاق علمية»
العدد ٣١/١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

سيرة ذاتية

د. ابراهيم العلم

يواصل اميل حبيبي في هذه السيرة الروائية رصد تجربته من حيث كونه فردا في أمة خاضت تجارب وطنية ملتهبة في ضراوتها من أجل أن تثبت وجودها على أرضها وحقها في البقاء، كسائر الأمم، ومن حيث كونه إنسانا له تجارب خاصة في مذاقها تتصل بماضيه وحده في وطن تبدلت معالمه خلال مراحل النضال المختلفة، فهو يخشى أن تندثر فتفوت فرصة الاطلاع عليها والافادة منها حين تطل أجيال جديدة على هذه الأرض الطيبة وتسعى على أديمها كما كان يفعل، فضلا عن ان التوق الى استعادة الماضي فطرة انسانية تتصل بالرغبة في الحياة وفي استمرارها.

فان هذه الخرافية سيرة ذاتية غير منبتة عن سيرة الشعب الذي يعد الكاتب نفسه واحدا من أبنائه. بيد أنها تنأى عن أن تكون سيرة تقليدية. فان اميل حبيبي اذ يدرك ان مأساة شعبه ونكبة وطنه لا تتكرران في تاريخ العالم الحديث، كره أن يقدم شكلا فنيا معادا! فجاءت هذه السيرة ذات القالب الروائي، لتستوعب التجربتين العامة والخاصة معا اذ يتعذر الفصل بينهما.

ولقد قدم اميل حبيبي سيرته في اطار اسطوري عبر من خلاله عن حلم وطني لشعب فلسطين، على ان الواقع التعس الذي يعاني منه يدفع بالحلم بعيدا. وبين الاثنين: الحلم والواقع يترجح الفلسطيني بين التفاؤل واليأس.

فهذه سرايا بنت الغول تتراءى للراوية فيبدو كمن يعالج حلما من أحلام اليقظة لأن هاجس احتواء الماضي العربي لفلسطين لا ينفك يراود الكاتب «... الصوت صوتها وتناديني كما كانت تناديني تحببا تارة وعتابا أخرى فهل عادت الي اخيرا؟ من بين الاحياء عادت ام عادت شبحا من بين الأموات؟».

وحين يرتد الى الواقع يرى في التجربة التي خاضها اتونا من الحسرة فيعلن ان "هذا الأتون هو هذه الخرافية فرنا ملتهبا من الألم. وكدت أن أصف هذا الأتون بنار جهنم الحمرا من شدة ما الاقيه من آلام محرقة".

وقد تجسد قلق الراوية نحو قضية وطنه بهذه التساؤلات المبثوثة في المواقف المختلفة كقوله (لم يتحمل أن يقضي بيننا سوى اسبوع كان ينهي كل يوم من أيامه بمساءلتي وبعدين!) أو قوله في موضع آخر (شاهدت في عيني ذاتي قبل ستة وخمسين عاما شريطا سلبيا معتما عما سوف يأتي فصحت: لماذا؟)

ومما يتصل بالحنين الى الماضي هذا الاسهاب في وصف عناصر الطبيعة كجبل الكرمل والاشجار التي تنمو فيه: البطمة والعناب والزعرور والشومر والنعناع وتفاح الجن والالحاح على وصف البحر والشاطىء وحرف السكان المتوارثة. ثم حين يعرض الراوية للحاضر ينتابه ألم فاجع فيصرخ مستنجدا بالأنبياء والصالحين والعلماء وقطاع الطرق متسائلا: كيف يموت الكرمل؟!.

والحق أن اعتماد الأسطورة في عرض التجربة يعين على تكثيفها من نحو ويباعد بين الرواية وبين الاملال من نحو آخر، فقد بدت الحركة القصصية متوثبة تستفز الخيال فضلا عن ان الاسطورة بعامة تعبير عن أشواق الانسان الخالدة في تجاوز الواقع حين تجثم الأحزان على صدره.

إن الهم الوطني هو الذي يستثير بلبال الكاتب، فلا يني يتناوله في أعماله الأدبية المختلفة بدءا بمجموعة سداسية الأيام الستة ومرورا برواية المتشائل ولكم بن لكع واخطية وانتهاء بخرافية سرايا بنت الغول. بيد انه لا يطمئن الى شكل فني واحد ولو تحقق له نجاح ظاهر فيه فلم يكرر الشكل نفسه الذي صب فيه المتشائل حين كتب رواية لكع الممسرحة وقل الشيء نفسه في روايتي اخطية وسرايا بنت الغول. ويمكن الاشارة أيضا الى ولعه الظاهر بطرافة العناوين التي صدر بها رواياته، على أن هذه الطرافة غير مفصولة عن مضامينها وأساليب

Digitized by Birzeit University Library

العرض فيها.

وفي هذه السيرة الروائية يظهر الراوي غالبا حينا من خلال الفعل الماضي (قال)، وحينا يظهر متحدثا بضمير المتكلم ففي صفحة واحدة يرد ذكر العمة (نزيهة) مرتبطا بضمير المتكلم (عمتي) ثم يشار اليها بعد بضعة أسطر بالقول (فتكون عمته نزيهة الوحيدة التي أبقت على زوجها من ورائها).

فأعان هذا التداخل على بناء نسق شعري موح يضم أجزاء السيرة في نسيج محكم. فان الكاتب غير معني بتفصيل سردي يضطر القارىء خلاله الى الاندماج في الأحداث كدأب الروائي التقليدي، انه مهتم بتحليل المواقف المصيرية التي تعرض لها شعبه ومعنى بأن يبرز وقائع خاصة ذات عبق فلسطيني ينبعث من الماضي الدفين في أطواء التاريخ، لعلها تحيي الأمل في النفوس الكئيبة.

ولا شك في أن استهلال الفصول بالفعل (قال) استثمار ذكي لأسلوب المقامة القديم.

فان غياب الوطن عن أبنائه العرب يلح على مخيلة الكاتب وقد جسده في غياب (سرايا) حين أشار في أحد الفصول الى أن الغول قد اختطفها والى أنه ابتلعها في فصل آخر. ثم عاد الى الحديث عنها في فصول تالية وكأنه يريد أن يوحي الينا بأن الوطن ما زال حيا رغم اختفائه وقد برر الأمر تبريرا فنيا حين قال الراوية (وحكاية سرايا بنت الغول في روايات جدتي مريم الحيفاوية، حكاية مثيرة للدهشة في تعدد بداياتها وتعدد اواخرها واختلاف تفاصيلها) ثم لا يلبث حتى ينعطف بنا الى الواقع المتعس حين ذكر أن "لكل منا سراياه الهائمة على وجهها".

ومن هنا يمكن القول ان الكاتب لا يتخلى عن رمز أساس اعتمده في مستهل الرواية بل يتابعه المرة تلو الاخرى حتى الى المفاصل الثلاثة في تاريخ القضية الفلسطينية حين كان الشعب يملك الوطن بحرا وجبالا ثم حين شرد عنه وتباينت الآراء حول السبل التي ينبغي أن تطرق لاستعادته. وربما أشار الطوق الثالث الى احكام قبضة المحتل ورفضه الحوار مع ابناء فلسطين. ومن ذلك ايضا رمز (الكرمل) الذي تخلل مواقف الرواية كلها، فقد رمز به الكاتب الى الماضي تارة والى الوطن المغدور طورا وظل يقلب الحديث فيه حتى انطق اشجاره في نهاية المطاف كما فعل غسان كنفاني حين شخص الصحراء في رواية (ما تبقى لكم).

وثمة رموز يرد ذكرها مرة واحدة كرمز الكوكب الاخضر ولعله أشار به الى المجتمع المتطور قياسا الى المجتمع العربي. على ان هذا الرمز يبدو مرادفا لفظيا وحسب فلم يعد الكاتب أبعاده.

وربما عاد الى رموز اعتمدها في روايات سابقة كرمز الخزانة الحديدية. إذ يذكر الراوية أن (سرايا) أمطته مفتاحها السحري، ففي رواية المتشائل يحتفظ سعيد بطلها بصندوق حديدي يحوي ذهبا ولعله رمز الى سر باقية ابنة الشعب الذي لم يفارق وطنه ولا شك في ان الرمزين يلتقيان على فكرة واحدة هي رفض الواقع والسعي الى تغييره.

وقد يعمد الى التصريح حين لا يواتيه الرمز كقوله "كنا دائما لا عدونا ضحية العنف"!.

ان اميل حبيبي يبدو في سيرته الروائية حائكا لخيوط التاريخ يجمعها في صبر ووعي حتى استوى له منها هذا النسيج الفني المحكم، فليس همه ان يكتب رواية يديرها على بطل تتفاعل شخصيته مع احداث الحياة التي تضطرب من حوله، ولا ان يقيم صراعا بين الشخوص حول قضية من القضايا فنطل على عوالمها الداخلية، فان المواقف التي استنطقها الكاتب أضاءت التجربة العامة وأفصحت عن معايشة واعية لها، فقد برزت لديه رغبة شديدة في عرض تداعيات من حياته الخاصة ومن مجريات الاحداث العامة وحيثياتها دون أن يثقل بها على السيرة بعكس حاله في (اخطية) حين جعل القارىء يجوس في معرض من الاقتباسات الحاشدة من التراث، في الأدب والتاريخ واللغة.

وتجاذبت مداخلاته في هذه السيرة الروائية أحداث النكبة سنة ١٩٤٨ والتاريخ العربي المعاصر والجدل حول الفكرة الاشتراكية وتسفيه الركون الى المغيبات. وإشارات ثقافية رصينة تثري فهم، الواقع وتعرف حركته تحت السطح.

ورافق هذه الجدة في التعامل مع فن السيرة رغبة ظاهرة في تجديد اللغة من خلال الاشتقاق والجناس، كاستخدامه الفعل (دورني) من الدوار والفعل (نتخانق) من الخناق و (خرفني) من الخرافة. الى جانب ارتفاعه بألفاظ من العامية مثل كلمة (خرافية) التي حملت السيرة اسمها.

ومن جناساته: مدير البحر وهديل الحمام، والنهيق والشهيق. وقد يقع على لفظة من العامية يراها الأدل على مراده وعلى مستوى الشخصية الثقافي، فلا يتحرج في استخدامها كلفظة (شقفت عليه) بمعنى زرت! إذ أدرك أنه باستخدامها يقترب من الواقع. بيد أنه لا يترخص فيغرق في الاخذ من العامية.

على أن هذه الرغبة في تجديد اللغة لا تنفصل عن نزوعه الفني الى تجديد الشكل، فضلا عن أنها تلبي حاجة الكاتب الى السخرية الساخطة على ما آلت اليه قضية الوطن المعذب.

ولعل مما يقوي اتجاه الكاتب الى أن

Digitized by Birzeit University Library

يسربل أعماله الفنية بأجواء أسطورية، أن في تاريخ الشعب الفلسطيني جوانب يخالها المرء ضربا من الخيال، ولا سيما الاحداث التي سبقت سنة ١٩٤٨ أو التي رافقتها. على ان كفة الفن كانت هي الراجحة في هذه السيرة الروائية اذا قيست الى كفة السياسة فتماثلت في ذلك مع رواية (المتمثال) بعكس ما ظهر في (لكع) اذ كان الموقف السياسي اوفر حظا من اهتمام الكاتب.

«عقدة نفسية جماعية في الخطاب العربي المعاصر»

جورج طرابيشي

تبدو الظلامية بحكم التطور الهائل في تقنية التعبئة الايديولوجية والنفسية للجماهير مرشحة لان تكون شمولية اكثر من اي وقت سبق».

في القسم الاول من الكتاب وهو قسم حمل عنوان الرضة والنكوص يقول طرابيشي ثمة شبه اجماع في الخطاب العربي المعاصر على توصيف لحظة احتكاك العالم العربي بالغرب بانها كانت صدمة.

«وقد تتعدد في الخطاب العربي اوصاف هذه الصدمة، فهي تارة الصدمة الاستعمارية او الكولونيالية او الامبريالية وتارة ثانية هي الصدمة الحضارية او صدمة الحداثة».

اضاف «والحال ان هذا المفهوم المقتبس عن علم الميكانيك وعلم النفس معا يميل بالاذالية الى ان يتم توظيفه في الخطاب العربي المعاصر الى راد الفعل اكثر منه الى الفاعل فبيت القصيد هنا مصير من تلقى الصدمة لا مصير من جاءت منه الصدمة».

ويرى طرابيشي في ذلك «اننا لسنا امام تصادم بين جسمين متحركين بل امام حالة صدم جسم متحرك لجسم ثابت ومن ثم فان مدلول الصدمة هو تلك الحركة التي تدب في الجسم الثابت فتجعل منه متحركا فانها نتيجة قوة الدفع التي تلقاها من المتحرك الاول».

وقال ان هذا هو ما سمي «في الفكر العربي الحديث وفي الخطاب العربي المعاصر باسم النهضة».

اعتمد طرابيشي في دراسته على نماذج من نتاج محمد عابد الجابري باعتبارة «من ابرز ممثلي العقلانية المعتدلة «ومحمد عمارة وهو «ممثل بارز للسلفية المتنورة» وراشد الغنوشي «ممثلا السلفية الخالصة».

يقول طرابيشي «الاطروحة الرئيسية التي يدور عليها البحث الذي نضعه بين يدي القارىء هي ان ذلك المفعول الايقاظي التنبيهي قد انقلب الى ضده الى مفعول تنويمي تحديري وذلك طردا مع تحول الصدمة شوك بالانجليزية الى كدمة او رضة ترومة.

عن الفرق بينهما يقول «وان يكن المفعول الوظيفي للصدمة هو مطلب التفهير فان مذرع الرضة النفسي هو التثبيت وما كان مع الصدمة مهمازا يستحيل مع الرضة لجاما».

ويتناول الكاتب «النكوص» من وجهات مختلفة منها النكوص كاضراب عن النمو وكالفاء للذاتية واستقالة من الفعل التاريخي والنكوص كاحياء للمخطط العائلي وكعودة للمكبوتات الطفلية وكتقهقر من تلقائية الفعل الى اليه رد الفعل والنكوص كارتداد فعلي من عصر النهضة.

القسم الثاني من الكتاب حمل عنوان «حالة تشخيصية ازدواجية العقل في كتابات حسن حنفي».

ينقل الكاتب عن «الفصام» لجورج هوبر ١٩٧٤ قوله ان الازدواجية «هي ميل الى اعتبار مختلف الافعال النفسية في مظهريها الموجب والسالب في ان معا كان يثبت المرء وينفي الشيء الواحد في ان واحد».

ويتناول في هذا المجال التناقض في الموقف المنهجي والتناقض في الموقف من الاشخاص. وفي هذا القسم ايضا يتناول الخطاب السياسي كسيرة ذاتية ويتحدث عن المركزية العربية والمركزية الاسلامية المصادرة وعن التطهيرية الحضارية. و «التراث كاب مضطهد وموضوعات اخرى».

في كتابه الجديد «المثقفون العرب والتراث التحليل النفسي لعصاب جماعي» يتناول الكاتب السوري جورج طرابيشي امرا خطيرا بعض بعض خطورته او صعوبته كما يعترف المؤلف ان الموضوع الذي يدرسه هو مجموعة بشرية يصعب اخضاعها لفحص سريري نفسي ويحذر الكاتب من ان «الانتليجنسيا العربية باتت اليوم داخل دائرة التخلف.

يقول طرابيشي في مقدمة كتابة الذي صدر اخيرا عن دار رياض الريس للكتب والنشر ان الصعوبة التي «واجهتنا في محاولة تمديد الخطاب العربي المعاصر على سرير التحليل النفسي هي البنية الموضوعية لهذا الخطاب المستقلة ظاهريا عن ذاتية منتجيه فضلا عن ان فاعل الفحل في عملية انتاج هذا الخطاب هو واو الجماعة وليس ضمير المتكلم انا ...».

ويضيف «فالخطاب الذي نخضعه للتحليل هو الخطاب العربي المعاصر الذي بدأ ينتج نفسه ويعيد انتاجها منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ وهو بذلك يتميز عن الخطاب العربي الحديث الذي رأى النور غداة الحرب العالمية الثانية كما يتميز عن الخطاب العربي النهضوي الذي ينفض تمام عصر النهضة عمن ١٧٨٩ الى ١٩٢٩».

يتحدث المؤلف عن كتابه الذي يقع في ٢٨١ صفحة من القطع الكبير عن «الانتليجنسيا العربية فيرى انها «مثلت بقدر او باخر وعلى امتداد تاريخها الحديث عامل نهضة وتقدم.

لكن هذه الانتليجنسيا عينها او شريحة واسعة وسائدة منها «باتت تحتل موقعها اليوم داخل دائرة التخلف بالذات باعتبارها عاملا من عوامله».

وينقل طرابيشي قول طه حسين سنة ١٩٢٨ في «مستقبل الثقافة في مصر» عن الحضارة الغربية انه ان الاوان «لنقبل على هذه الحضارة باسمين لا عابسين» ويعلق على ذلك قائلا ان الامر مع الانتليجنسيا العربية هو ان شعار طه حسين انقلب الى ضده ليصبح «لندير عن هذه الحضارة عابسين لا باسمين».

وجاء في التمريف ان طرابيشي ولد في حلب سنة ١٩٢٩ وتخرج من قسم اللغة العربية في جامعة دمشق وانه مقيم الان في باريس. وقدم طرابيشي دراسات عديدة وكتبا مترجمة مختلفة منها ما هو في الفكر والفلسفة والرواية وقضية المرأة وعرب اكثر من ثلاثين مؤلفا ليسجموند فرويد.

وجاء انه «انصرف في وقت لاحق الى تطبيق التحليل النفسي في مجال النقد فقدم دراسات مبتكرة «عن عقدة او ديب في الرواية العربية عام ١٩٨٨والرجولة وايديولوجيا الرجولة في الرواية العربية سنة ١٩٨٣ ودراسات اخرى غيرهما.

واضاف المؤلف يقول عن قلب شعار طه حسين الى ضده «اخطر ما في هذا الانقلاب انه يأخذ دوره شكل جاذبة ايديولوجية وبواء نفسي».

«لانه اذا ما قيض لخطاب العصاب الاجتماعي ان يصبح هو ايضا خطاب السلطة فاننا سينتج امام المثقف وامام الانسان العربي في كل بقعة من الوطن هو مستقبل من الظلامية. وفي هذا العقد الاخير من القرن العشرين

Digitized by Birzeit University Library

الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة

دراسة وعرض : عبد الله جرادات جامعة بير زيت

لم تكن دراسة السيد البرغوثي الاولى من نوعها من حيث موضوعها، ولا من حيث الطريقة التي تناول دراسة الدين فيها، فلقد سبقه الى ذلك زياد ابو عمرو، وتعرض لدراسة الحركة الاسلامية وهذا نفس الموضوع وقد صدر الكتاب ١٩٨٩ - اما كيفية تناول الدراسة فهي محاكاة لما قدمه السيد عبد المعطي الهرماسي في دراسته الشهيرة عن الاسلام الاحتجاجي في تونس مع ان دراسة السيد الهرماسي تميزت بدقة معلوماتها ومن مصادرها المباشرة واعتمدت كثيرا على البحث الميداني بشكل واضح، ربما لاختلاف الواقع عندنا او لاسباب توفرت للكاتب هناك ولم تكن هنا، ولكن الشبه كان في طريقة تناول الدين لظاهرة سياسية ديناميكية ومتحركة وليست نصوص، بل ان البحثين يؤكدان على دور الدين السياسي تحديدا ويدعوان لاستيعاب هذا الدور طبعا.

من هنا سأحاول تناول دراسة الاستاذ البرغوثي بالعرض شبه الشامل واستخلاص بعض الملاحظات عقب كل فصل او خلال العرض او ربما في النهاية.

اطروحة الكاتب محاولة ضبط الممارسة السياسية للدين، النضال لفصل الدين عن الدولة، النضال لتعزيز استخدام تقدمي ايجابي للدين في اطار يخدم تقدم المجتمع وتحرره ومحاولة الحد قدر الامكان من الاستعمال الرجعي للدين.

دعوة القوى الوطنية والتقدمية ان تدفع لاقحام الدين في السياسة حتى في الحالات القليلة وذلك من اجل جر اعداد كبيرة من المجتمع الى ساحة العمل السياسي والوطني ومن اجل حسم الصراع بين الحركات السياسية الدينية والحركات. الاخرى في الحلبة السياسية، وفي مجال الفعل الوطني المناهض للاحتلال بدلا ان يقتصر كما في السابق في المسائل الفقهية والشرعية وفي مسائل التحريم والتكفير وعدم التكفير.

هدف الدراسة:-

دراسة ورصد عملية الاسلمة الجارية في الارض المحتلة، ودراسة ظروفها السياسية والاجتماعية ومحاولة استنتاج تأثير هذه العملية على الوضع السياسي وعلى القوى السياسية المتواجدة على الساحة وعلى مستقبل المنطقة السياسي ككل:

الدراسة تضم خمس فصول:-

١) تقديم تاريخي لدخول الاسلام السياسي المعاصر خاصة الاخوان المسلمين في فلسطين، نشاطهم قبل ٦٧ + كيفية تأسيسهم والظروف التي نشأوا بها، ايدلوجيتهم واهدافهم وتحالفهم.

٢) اعادة احياء النشاط الاسلامي السياسي في الاراضي المحتلة بعد الاحتلال الاسرائيلي لها. اسبابها وذلك خارجيا وداخليا، تجليات الصحوة ومظاهرها.

Digitized by Birzeit University Library

٣) الحركات الاسلامية الجديدة مثل الجهاد الاسلامي، وحركة المقاومة الاسلامية «حماس»، ظهورها، جذورها الفكرية، اهدافها، ايدلوجيتها، ودورها النضالي علاقاتها مع القوى والحركات السياسية المتواجدة على الساحة الفلسطينية.

٤) العلاقة بين الحركات الاسلامية الفلسطينية والجماعات السياسية اي منظمة التحرير الفلسطينية والحركات اليسارية، والعلاقة بين الحركات الاسلامية والمسيحية.

٥) مواقف الحركات الاسلامية من القضية الفلسطينية، كيف عالجت نظريا وعمليا قضيتها الوطنية وكيف اثرت الانتفاضة باتجاه اتخاذ بعض القوى الاسلامية لمواقف اكثر جذرية اتجاه القضية الوطنية الفلسطينية.

الفصل الاول:-

بخصوص الفصل الاول كان استعراضنا لنشوء حركة الاخوان المسلمين في مصر وافتتاح فروع لها في فلسطين، وفي باقي الدول العربية واعتماد ايدلوجيتها على الدعوة في كافة البلدان الاسلامية خاصة العربية منها، وكانت طريقة استعراض للنشوء والفعاليات قبل ٦٧، خاصة اوضاع الحركة في الضفة الغربية والقطاع وظروف الحركة بعد ٤٨ - ١٩٦٧، خاصة هذه المرحلة من انقطاع المناطق عن بعضها في ظل الوصاية المصرية على القطاع وضم الضفة الغربية للاردن وبناء اسرائيل على الجزء الاخر سنة ٤٨. ويحاول ايجاد تفسيرات عدة ان لماذا نشأت هذه الاطر على اساس اسلامي، وكيف تعاملت، وكم نجحت، واسباب هذا النجاح او الفشل والعلاقة بينهما في فترة ما قبل الاحتلال فهو يقول ان فترة الاستعمار اصبغت على اكثر حركات المقاومة وقياداتها، وتحديدا في العالم العربي، الصبغة الدينية فالصراع بين ثقافتين: الاسلامية والغربية، دار الاسلام ودار الكفر. سبيل الله وسبيل الشيطان، ويحدد ثلاثة حوافز لنشوء التيارات الدينية:-

١) رد فعل على الغزو الغربي.

٢) تجديد للدين.

٣) منافسة التيارات القومية المقلدة للغرب.

ويتحدث مطولا عن تفاصيل نشأة تنظيم الاخوان المسلمين في فلسطين وانه وصل اليها من مصر، محددا تأكيد الاخوان على الجانب العبادي والاخلاقي والسلوكي ومن ثم السياسي والاقتصادي والذي ينفي علاقتهم واهتمامهم بها في البدء ؟؟؟!! كذلك يفسر تفسيرا منطقيا استفادة جماعة الاخوان من المؤسسة الدينية الرسمية اضافة للتقاليد الاجتماعية الدينية، كذلك يفسر قوة الاخوان في غزة ويعزوها لقوة علاقتهم في البداية مع عبد الناصر وعدم وجود منافس سياسي ابان الحكم المصري وقبله، وكذلك دور المساجد الفعال، كذلك العلاقة الشرعية والمتوحدة مع النظام الاردني حيث ان الاخوان المسلمين كانوا الحزب القانوني الوحيد في الاردن ودائما؟!!؟؟.

ويتعرض الكاتب لبنيتهم الاجتماعية، ويؤكد على ثوابت الموقف لدى جماعة الاخوان ويركزها في ثلاث نقاط:-

١) تغليب الجانب الاخلاقي الثقافي على السياسي؟!!.

٢) الموقف المتحالف مع النظام الاردني دونا عن الاحزاب الاخرى وتأييد البلدان العربية المحافظة.

٣) معاداة الشيوعية.

ويحدد فكر الاخوان بالاسلام: القرآن والسنة، ان الاسلام نظام شامل ومتكامل بذاته وهو سبيل الحياة النهائي بكافة نواحيها، كذلك قابلية الاسلام للتطبيق في كل زمان ومكان.

اما مناطق الاخوان في التغيير يبدأ بالفرد والاسرة ثم الامة كوحدة فكرية مع اغلب الحركات الدينية.

اما حزب التحرير الاسلامي، فيرى الكاتب انه فلسطيني المنشأ على يد الشيخ النبهاني، يعتمد في تمويله على المخابرات الامريكية؟!!؟ وهو حزب انقلابي، دوغمائي، شديد الحدة في طرح آرائه يركز على الجانب السياسي، وحكمت تاريخه علاقة عدائية مع النظام الاردني، وهذا الحزب يرى الاصلاح من اعلى على عكس الاخوان، ويحاول الاعتماد في تفسير الدين على العلم والمنطق، ويعتمد المركزية شبه المطلقة، وينحصر في المتعلمين ولم يصل الى الفئات الشعبية كما يقرر الكاتب؟!! ويميل الحزب للعمل السري، ويركز على المعاداة للغرب اكثر من معاداته للشيوعية. وهو يقسم العالم الى امريكان وبريطانيين، ويرى في بريطانيا العدو الاول للاسلام والحزب اقرب الى المنطق القومي من الاخوان ويركز على العالم العربي.

الفصل الثاني:-

يتضح للقارىء انه اورد في الباب كل ما يخطر ببال احد عن انه سببا لما سمى «بالصحوة الاسلامية» لديه! وهو يورد الاسباب حسب آراء كافة الاطراف، وكأنه لا يريد ان يبقى لأحد عتب عليه؟!!؟ ويؤخذ عليه تحديده للاسباب الاساسية من الهامشية، كذلك عدم ترتيبها حسب اهميتها فمثلا الدعم المالي للمؤسسات الدينية سببا مهما جدا يورده بشكل متأخر، كذلك التركيب السكاني وسيطرة الفكر الغيبي فيوردهما الكاتب في النهاية؟!! وبنفس الوقت يورد في البداية الاسباب السياسية كأسباب لها دور الحسم، مع انه يتحدث في

Digitized by Birzeit University Library

موضوع من الكتاب عن ثانوية السياسة لدى جماعة الاخوان؟؟؟ اما ما ذكره الكاتب على صعيد العوامل الداخلية والتي سببت او سهلت الصحوة الاسلامية فيورد مجموعة من الاسباب ايضا وبنفس الطريقة وضع كل شيء يمكن ان يخطر بباله وله علاقة بالموضوع بدون ترتيب ايضا حسب الاهمية، ولا ادري ان كان هذا مقصودا ام هي مجرد سهوة؟؟؟ فمثلا يورد سبب مواجهة نمو اليسار عقب انتخابات ٧٦ كاول عامل، ويؤخر ترتيب دور المؤسسات الدينية والتعليمية والاقتصادية بكل تأثيراه الهائل ويضعها كرقم ثامن من حيث الترتيب، كذلك يضع دور الاحباط واليأس من خروج المقاومة من بيروت، وكامب ديفيد وميوعة الموقف السياسي في آخر المطاف.

ويرى المؤلف ان هذه الاسباب والعوامل التي وقفت وراء التسارع الكبير لعملية الاسلحة التي يشهدها المجتمع الفلسطيني في الاراضي المحتلة، ويقرر ان هذه الاسباب والعوامل التي وقفت وراء عملية الصحوة الاسلامية وليس غيرها، مع انه يمكن ان تكون هناك اسباب اخرى خارج هذا، فعلا، وانا اتذكر سريعا مثلا عدم ذكر مقرر المنهاج المدرسي الرسمي وما له من تأثير قد يكون اهم من كل العوامل الداخلية الانفة. ففي دراسة المنهاج منذ الاول الابتدائي حتى الثالث الثانوي من مبادىء الدين والسيرة النبوية وتحفيظ القرآن وتعليم العبادات وشهر رمضان كذلك منهاج التاريخ، والذي يدرس دوما التاريخ العربي الاسلامي، واللغة العربية العبقريات، كلها بهذا المعنى وهذه المواد يجب ان تحتسب كمواد اساسية في امتحان الشهادة الثانوية العامة «التوجيهي» فأهميتها كمواد تنظيرية وتأثيرها على البناء الذهني بدون ان يسمح للطالب الاطلاع على غيرها، بل وحتى تحريم الاطلاع على اي شيء وحصره ضمن اطار الدين الاسلامي. اما بخصوص مظاهر «الأسلمة» او اعادة البناء الاسلامي، فهو يراها بأشكال ثلاث:

١) اعتماد الدين رسميا من قبل انظمة الحكم ولو نظريا.

٢) نمو دور الحركات الدينية.

٣) الحديث عن العالم الاسلامي ككتلة موحدة في وجه التكتلات الاخرى.

وتحديدا السياسة الخارجية، والاستفادة من الثروات النفطية اما فلسطينيا فيحدد المؤلف دور الاحتلال في نشوء منظمات سياسية كفاحية كردة فعل عليه مثل الجهاد الاسلامي وحزب التحرير، وحزب الاخوان المسلمين (حماس) وما تفرع عنهم.

المؤسسات التعليمية من جامعات ومعاهد وتضاعف عدد المساجد، ودور القراءة وزيادة عدد القائمين بالعبادات من صلاة وصيام وحج وكذلك الملتحين واللابسات اللباس الطويل الشرعي بالاضافة لوجود المؤسسات الاقتصادية الخاصة بهذه الجماعات، وانتشار تزيين البناء بالآيات القرآنية وقبة الصخرة وكذلك المناظر الدينية كتحف، وكذلك لجان الزكاة التي تزيد عن ٦٠ لجنة وعملها من دور مهم على الصعيد الخيري، والاساطير وانتشارها التي تعزز دور الدين. وينهي المؤلف حديثه في هذا الباب متحدثا عن هذه الصحوة وقوة اندفاعها لدرجة وصولها الى داخل الخط الاخضر، حيث برزت الحركة الاسلامية كثاني قوة داخل الخط الاخضر. كذلك يذكر المؤلف الدور الهام للدعم الخليجي للتيار الديني ومؤسساته وهذا الموضوع يشير له الكاتب بهدف مكشوف محاولا اثارة دوما الكاتب عما يخرج الدراسة عن الشبه والاساءة مما يخرج الدراسة عن الحيادية، فمن لا يأخذ من الخليج يأخذ من اميركا واوروبا ان لم يكن من ليبيا وايران، واذا اعتبرت هذه خطيئة، فمن منا بلا خطيئة؟؟ وهي كذلك!؟! على ما اعتقد.

الفصل الثالث:

يبدأ الفصل تحت عنوان حركات اسلامية جديدة وبعد ان يستعرض الكتاب ظروف الارض المحتلة عقب هزيمة ١٩٦٧، ويقارن التيارات الدينية بالوطنية، ويماثل - وذلك لتوضيح علاقة التنافس وعدم الاتفاق بينهما - مقارنا ذلك بالعلاقة بين حركة القسام والمفتي بشكل لا مبرر له حسب توقعي، فلا القسام يتماثل مع الحركات الدينية عقب ١٩٦٧، ولا الحسيني المفتي يتماثل مع الثورة الفلسطينية عقب ٦٧؟ يبدأ بالجهاد الاسلامي كمنظمة، ويضيف ان الجهاد جاءت للمزج بين الفكر الديني والوطني، وانها اقرب الى منطق حزب التحرير منه الى الاخوان وهي امتداد لفكر القسام وتجديد لنهج الاخوان المسلمين ولفكر البنا وتعاليم قطب في «معالم على الطريق» كمعلم وامتداد لفكرة الجهاد الاسلامي، وان المنظمة تأسست سنة ١٩٧٩، فكيف يقرر ان المؤسس هو «عبد الله نمر درويش»، زعيم الحركة الاسلامية بالداخل حاليا واعتمادا على «هاله مصطفى» حيث يعتبر الاب الروحي للحركة. ثم يورد الكاتب انهم المسلمين في فتح ويورد اسماء بعض القادة في فتح كمؤسسة مثل «حمدي سلطان»، «بحيص» ، و «الكيالي»، الذين تم اغتيالهم في قبرص. ولكنه يعود ليقول ان التنظيم له اجنحة مختلفة او اكثر من تنظيم يحمل نفس الاسم؟!! بالاستناد الى مصادر اسرائيلية، ويغير ويقول ان «اسعد التميمي» احد الزعماء مع انه من المعروف اعلاميا انه الزعيم المؤسس للمنظمة، وقد انبثق التنظيم سنة ٨٠، وصعد اعماله مع بدء الانتفاضة، وان التنظيم دخل غزة على

Digitized by Birzeit University Library

يد «فتحي الشقاقي»، و «عبد العزيز عودة» الذين ابعدتهم السلطات مؤخرا، ويروي قصة اخرى هي ان مؤسس التنظيم الفعلي هو اردني الجنسية يدعى «محمد سالم» ثم «كامل السيد حبيب»، واصولهم السياسية اعضاء في حزب التحرير. ثم في رواية اخرى ... ان التنظيم قام على يد «صالح سرية» الفسطيني الجنسية الذي درس في الازهر. ولا ادري لماذا لم يحسم الكاتب هذه المسألة باتجاه الرواية الادق والاكثر صحة حتى لا يضيع القارىء ...؟!. اما بالنسبة لجذورها فهي تعتبر نفسها امتدادا للاسلام المجاهد واستجابة لحركة ونداء القسام والافغاني، ويورد انها «حركة مسامية»، بين اربع اقواس دون التفسير لمعنى «مسامية» الا اذا كان المقصود خطأ طباعة؟!؟ ويحدد ان عدد اعضائهم في غزة بـ ٢٠٠ عضو وفي الضفة - ٢٠٠٠ -٤٠٠٠ عضو، مع انه غير متأكد من هو زعيمهم او مؤسسهم او كم تنظيم يطلق عليه اسم الجهاد، وهنا تناقض واضح وبالاعتماد على مصدر اجنبي Satloff Robertlibd P.3 ثم يقول ان بعض الاعضاء من القوى الوطنية الذين خاب ظنهم بهذه القوة يمينا ويسارا، ومن الاخوان وحزب التحرير حيث تعتبر حركة الجهاد الاسلامي نفسها تجاوزا لفكرة الاخوان والتحرير والحركة الوطنية ايضا وهي تجسيد وامتداد للفكرة الحقيقية في الاسلام الهجوم الجهادي، وهم جذريون في طرحهم ولا يهادنون ولا يساومون وهم اقرب الى فكر حزب التحرير الراديكالي ومنطق منظمات الرفض، ويتبعون اسلوب تنظيم المجموعات التي لا تدري الواحدة عن الاخرى، فكيف عرف المؤلف عددهم؟!؟ ويشيد المؤلف بأساليبهم العسكرية الناجحة، بحيث يحس القارىء انه امام خطاب لاحد زعماء الجهاد الاسلامي؟؟ ويعزو لهذه العمليات السبب في تفجير الانتفاضة او موحيا بذلك حيث يقول ان هذه المنظمة تفعل اكثر مما تقول؟!.

اما عن الاهداف، فيقول الكاتب ان الهدف مرضاة الله ومواجهة التحدي الغربي وتحرير فلسطين قلب العالم الاسلامي الخلافة الراشدية واحداث البعث الاسلامي، وتركز على وحدة الجماهير المسلحة وتنتقد الانظمة بشدة وبالاسم. اما على الصعيد المحلي فهي تطرح التحالف مع كل الاطراف باستثناء الشيوعيين، وليست المنظمات الماركسية. لماذا؟ لا اعرف كيف عرف وهو لا يوضح لماذا؟ وهي بنفس الوقت تطرح الوحدة مع كافة القوى الاسلامية.

اما بخصوص «حماس» فيقرر انها الذراع الضارب لحزب الاخوان المسلمين ويكرر دائما ان جماعة الاخوان انتهازيون وغير صادقين عازيا ذلك مصادرة ودوما يقوم بتكرار ذكر ذلك اكثر من مرة ليست صدفة فهم حتى عندما شكلوا حركة حماس فللتلافي انشقاق داخلي ولمنافسة الحركة الوطنية والجهاد الاسلامي، وللقدرة على الاستمرار واخذ قسمتهم من الكعكة اذا كانت وان لم تكن هناك نتائج، فالضحية حماس وليس الاخوان؟!؟. (منتصف ص. ٧٦ الفقرة الثالثة).

ويثير الكاتب الشكوك حول مناهضي قيادة حماس «فاحمد ياسين» رغم الاشارة المستمرة لدوره المهم ثم يشكك في ذلك ويحدد تاريخ تأسيس حركة حماس في شباط ١٩٨٨.

حماس كايديولوجيا واهدافها كما جاء في بياناتها

ان الله غايتها والرسول قدوتها، القرآن، دستورها والجهاد سبيلها، والشهادة امنيتها وهي حركة «فلسطينية متميزة»، تعمل لتحرير فلسطين كاملة، ولها اعلان عن جملة من الاهداف المرحلية منها رفض الحلول الاستسلامية ولها دور تحريضي.

ويورد ان حماس تدعي ان الحكمة من تأسيسها تفجير الانتفاضة حيث انها اول من كتب بيان بخصوص الانتفاضة من بين الاتجاهات الاخرى.

ولكن الكاتب يعترض ويعتبر هذه مسألة شكلية؟ ويورد مفارقة التشكيك بصدق حماس في مواكبة الانتفاضة وهي انها انزلت البيان (١٤) في حزيران واعقبت البيان رقم ٢٣ بنفس الشهر. (المصدر المقابلات)؟؟!! اما بخصوص الدور الفلسطيني لحماس يركز في البدء على الجانب الفني وطرح الشعارات الكبيرة ثم العودة الى اساليب الحركة الوطنية المعهودة.

اما عن علاقة حماس بالقيادة الموحدة فهو يؤكد حتمية علاقة الوحدة والصراع والوحدة ضد تحدي الاحتلال والصراع والتنافس فيما بينها، ويورد ان حماس تدعو للوحدة وتبدي استعدادها، ولكن الكاتب يورد «تحفظه»، ويتكلم عن الفرق بين الطرفين ولكنه مجرد حديث كما يقول ويتحدث عن الخلافات ايضا موردا بعض الامثلة ويتجنب الحديث مطلقا عن التقارب السياسي مع بعض الاطراف من نسج التحالف في مواجهة الحلول السلمية والوفد المشترك ويورد فقط الاتصالات مع احمد جبريل وابو موسى حتى هذه يوردها كأخبار صحفية فقط؟!؟ مع انه لم ينفها احد؟!؟.

ويتحدث المؤلف عن اسباب تأفف وتستحق كثيرا من الاستهجان عما تطرح حماس لعدم دخولها في القيادة الموحدة فهي اولا «أمنية بحجة ان بقية التنظيمات مخترقه ولا تدقق في تنسيب اعضائها وذلك لان الحركة تعرضت لاعتقال افضل اعضائها بسبب تجربة التنسيق مع فتح؟!؟ وبدون ذكر المصدر. وهذا ادعاء لا يجب

Digitized by Birzeit University Library

المرور عليه اذا صدق؟! فكيف يضعه الكاتب بدون مصدر وهو مثير للحساسيات، مع انه يشير الى حساسية دراسته فكيف وقع في هذا العطب؟؟ ثم الاعتراض على بنية القيادة الموحدة، والخلافات بين اطرافها وحرصا من حماس على عدم مضاعفتها لا تنوي الانضمام. استغرب كيف وضع الكاتب هذه الاقاويل؟؟ ثم للتعارض السياسي؟؟ فتخبط وتهاون البقية من المنظمات مقابل الصدق والسبق والاخطاء عند حماس؟!!.

ثم يتحدث الكاتب عن نقاط التفاهم (بعد كل ذلك) مثل مقاومة الهجرة وترتيب الاولويات مع القوى الوطنية اما موقف حماس من القوى الاخرى وخاصة الاسلامية فهو موقف محترم نظريا، وليس على الصعيد العملي التنفيذي كما يقرر الكاتب، مع انه يقول ان حماس تتعامل بمنطق براغماتي عملي في تحالفاتها السياسية وهي لا تنتقد الانظمة بالاسم، وهي مع الاردن وليس ضده، ثم هي ضد قرار فك الارتباط (خطبة الشيخ البيتاوي في الاقصى).

اما عن حماس والعملية السلمية فهي مع تحرير كامل التراب الفلسطيني علنا، وان فلسطين بلد اسلامي يجب تحريره، وقد هاجمت حماس كل المشاريع السلمية حتى الان. ولكنه يحاول الايماء ان حماس عمليا مستعدة حتى الى الانتخابات والحكم الذاتي حسب حديث الزهار لجريدة القدس، مع ان حماس لم تعلن رسميا عن ذلك وردت ان موقفها يؤخذ فقط من بياناتها؟؟؟ كما يورد.

وفي نهاية الفصل يرى الكاتب ان حماس تعاني من ازمة تشتد كلما اقتربت امكانية الحل، كما انهم لا يستطيعون الدخول في التسوية لعدم القدرة على تجاوز ادعاءاتهم النظرية وخوفا من خسارة الانصار المتشددين من جانب، وهم لا يستطيعون التحالف مع رافضي التسوية لانهم في اغلبهم يساريون من جانب اخر، علما بأن هناك حديث عن لقاءات سياسية بين الطرفين ومع اطراف الجماعات السورية المناوئة لأبي عمار، لا ادري لماذا تجاوزها الكاتب هنا؟؟ ولم يشر اليها بوضوح؟!.

الفصل الرابع:

عن الحركات الاسلامية والقوى الاخرى م.ت.ف.

يبدأ بالحديث عن اهمية العلاقة بين التيار الديني و م.ت.ف. ويقول انه عليها يتوقف مستقبل الصراع في المنطقة، ثم ينفي اهمية الخلافات بينها على لسان احد انصار التيار الوطني، لان التيار الديني لا يملك عنصر التنظيم والايديولوجيا، وعدم قدرته على المنافسة مع م.ت.ف. مع تضخيم هذا العامل واي المنافسة على طول صفحات الكتاب، هذا بالنسبة للاخوان، اما بالنسبة للتحرير والجهاد فكل مشروعه الخاص الذي لا يتقاطع في شيء مع م.ت.ف، وبالتالي فلا احتكاك ولا منافسة وهنا نلاحظ محاولة الكاتب الوصول الى نتائج سريعة وسهلة، للتخلص من تناقض وقع فيه، وهو ان للخلاف الايديولوجي تعود المنافسة مرة، واخرى يؤدي هذا الخلاف الى عدم الاحتكاك وبالتالي عدم المنافسة؟! ثم يبدأ بتفصيل اسباب هذه المواقف فيبدأ بالجهاد الاسلامي وموقفه من م.ت.ف. يقرر الكاتب ان مشروع لا يتقاطع مع مشروع م.ت.ف، وهي غير معنية بمؤسسات م.ت.ف كما انها اقرب الى م.ت.ف. من بقية التيارات الدينية، وهي غير محصورة في الساحة الفلسطينية، مع انه يتحدث عن انتقادات سياسية بخصوص التسوية والموقف من ايران، والخروج من بيروت ومهادنة الانظمة وصلت حد الاتهام بالعمالة، وماذا بخصوص فرض اضراب لهذه المنظمة في الاراضي المحتلة؟!؟.

اما الاخوان المسلمين فيبدأ المؤلف مستندا الى فرضيات تحتاج لفحص في تفسير موقفهم، فهو يفترض ان سبب قوة موقف الاخوان يعود الى دعم فتح لها، وتنسيقها معهم، الذي وصل حد التحالف ولا ادري لماذا لا يورد اين ومتى حصل هذا التحالف؟؟ كما يورد سبب آخر ان القيادات في منظمة فتح اصولها اخوان بالاستناد الى مصدر د.صالح عبد الجواد. مع ان عبد الجواد لم يؤكد هذه المسألة، حتى لو، فما علاقة ذلك ببروز قوة موقف حماس؟ ثم يتحدث عن دور الانتفاضة في تأكيد دور البديل السياسي للاخوان، كما يعود ويؤكد ان موقف الاخوان مرهون بموقف النظام الاردني ولا ادري لماذا يصر على هذه المسألة لحتى الان؟؟ فالمعروف هذه الايام ان النظام مرهون بموقف الاخوان اذا كان هناك احد مرهون بموقف احد. وهنا ايضا يطرح دور الايديولوجيا كعامل في المنافسة واستمرار الخلاف مع انه نفى اهمية هذا العامل في مواقع اخرى، او على الاقل ادعى انه عامل يؤدي الى المواءمة عند الاطراف الاخرى، الجهاد والتحرير في موقفها من اطراف م.ت.ف.!!.

اما بخصوص موقف حماس من منظمة التحرير فهم يتشككون في نشأة م.ت.ف. ومصادر تمويلها، فتأسيسها مؤامرة لازاحة العبء عن الانظمة العربية في عملية التحرير ومواقفها مرهونة بمصادر التمويل. ولا ادري لماذا يورد مثل هذه المواقف التنظيمية؟ كما ان الاخوان لا يعترفون بوحدانية تمثيل م.ت.ف، اما بخصوص موقف الحركات الاسلامية من اليسار فتحتكم الى الاخلاق والايديولوجيا المتصادمة دوما بالنسبة للتحرير والجهاد فهي معاوية نظريا ولم تمارس هذا الموقف عمليا. اما الاخوان فهو نظري وعملي ومورس جسديا وماديا ضد انصار اليسار.

Digitized by Birzeit University Library

ثم ينهي الموضوع بتأثير دور الانتفاضة التخفيفي لوتائر هذا الصراع وكذا ضعف الدول الاشتراكية ولوحدة الموقف من الهجرة مع هذه الاطراف وتناسى ولا اعرف لماذا نسي او تناسى عامل محاولة هذه الاطراف تلطيف الاجواء مع اليسار لضعفه ولخوض معركة تنافس مع فتح حاليا، فاليسار دوره قادم.

اما فيما يخص موقف اليسار من القوى الاسلامية فنرى انه ينفي دور الايديولوجيا كعامل من عوامل العداء لدى اليسار ضد الاسلاميين على ارضية ان الماركسية لها موقف من دور الدين الرجعي المستخدم من قبل الطبقات المستغلة وكمهدىء للطبقات المضطهدة، وان هذا ليس ضد الدين كدين، وسحب الكاتب هذا الموقف على موقف اليسار من الحركات الاسلامية، وهذا غير صحيح. فمن المعروف ان اليسار يفرق بين الدين الشعبي والدين السياسي الذي تطرحه الحركات. وكذلك فان العلاقة العدائية التي تحكم علاقة اليسار بهذه القوة معروفة، ويتهم اليسار هذه الحركات بالاستخدام الرجعي والسلفي للدين وحتى الخياني واللا وطني المعادي للديمقراطية والثورة، لدرجة ان هذا موقف تقليدي، فمهمة الحركات الدينية، وتحديدا الاخوان ضد كل ما هو تقدمي حسب منطق اليسار؟؟ ولا ادري لماذا غيب الكاتب ذكر هذه المسألة، فالطرفان نقيضان على الرغم من الهدنة المؤقتة بينهم اثناء الانتفاضة فقط، كما حصل في مصر ابان القمع الناصري للطرفين ايضا فهي هدنة مؤقتة حسب ما هو معروف، والهدنة القائمة حاليا بين الطرفين هي ضد الفوز السياسي للقيادة المتنفذة في م.ت.ف. وهذه مسألة لا يخجل منها ولا يخفيها انصار الطرفين وتحديدا الجبهة الشعبية وحماس، ويعود الكاتب في صفحة (١٢٠) للتشكيك في مبدئية حركة حماس بالاستناد الى مصدر يساري ؟؟؟ وهذا تكرر على طول صفحات الكتاب.

اما فيما يخص موقف الحركات الاسلامية من غير المسلمين فهو يتحدث عن قلة نسبة المسيحيين في البلد ٣٪ فقط، رغم حديثه عن ثقل اقتصادي وسياسي لا يتناسب مع هذه النسبة بل يتجاوزها، ولم يتعرض لأسباب هذا التميز مع انها ضرورية هذا اذا كان صحيحا، فالقارىء بحاجة لتفسير هذه المعلومة. ويورد الكاتب جملة عوامل تمنع بروز الجانب الطائفي منها تسامح الدين الاسلامي وعلاقة الألفة التاريخية واحتكام الصراعات لجوانب عشائرية وطبقية، ونقابي ثم سياسي وطني وليس طائفي كذلك ثقل الحركات السياسية العلمانية واليسارية، كذلك انشغال هذه الحركات الاسلامية بمقارعة الاحتلال اثناء الانتفاضة الا انه يذكر بعض الاحداث الهامشية، السلبية ودور الاحتلال في تفنيتها الا انه استنادا الى دراسة اجراها الكاتب نفسه ينفي مثل ذلك الخطر حتى مستقبلا. مع عدم الاشارة للدور الذي يلعبه المسيحيون الفلسطينيون في العمل الوطني؟!.

الفصل الخامس: بخصوص موقف التيار الديني من القضية.

الاهتمام بالقضية منذ بدء نشوئها، ثم طرح الكاتب طريقة الكفاح المسلح سنة ٤٨، وقد تعاملت الحركات الاسلامية مع القضية باعتبارها قضية دينية ولا يمكن ان تحل الا على هذا الاساس فهي تنظر للمشروع الصهيوني على اساس انه مشروع ديني بحت، ويتعاملون مع الصهاينة على انهم يهود مثل الصليبيين الذين هزمهم صلاح الدين بالدين فقط، وكذلك اليهود الذين اتوا على اساس ديني وتواتي، وتشترك الحركات الاسلامية في الدعوة والعمل على اقامة فلسطين الاسلامية، وكذلك رفض كل المشاريع والحلول الاخرى التي طرحت لحل القضية، وتختلف التنظيمات الاسلامية الثلاث حول اهمية القضية وترتيبها بين القضايا، ثم حول الطريقة الافضل للتعامل مع هذه القضية. فحزب التحرير كما يورد الكاتب يركز على ضرورة البدء اولا باقامة الدولة، اما الجهاد الاسلامي فيؤمن بالبدء بالعمل المباشر لتحرير فلسطين اما الاخوان فيدعون الى الاعداد والتربية، ومن ثم التحرير، اما بالنسبة لاهمية القضية الفلسطينية فالتحريريون يرون انها ستحل عقب بناء الخلافة الراشدة بطريقة انقلابية، اي اهم حدث هو الانقلاب الاسلامي اولا، اما الجهاد فيرى انها القضية المركزية الاولى للامة الاسلامية.

ثم يستعرض بشكل دعاوي تنظيري منطلقات ومواقف منظمة الجهاد الاسلامي اتجاه القضية ويشيد بمبدئيتها واستقلالها دونا عن بقية التنظيمات، وكأن المسألة فقط مسألة برامج فقط؟؟ اما عن الاخوان وموقفهم التفصيلي فهو يورد انهم يعتبرون القضية مجمة من اعداء الاسلام المستمر على الاسلام، يلاحظ الكاتب على الاخوان الفارق بين موقفهم النظري واهتمامهم العملي بالقضية، كما انهم اهتموا اكثر بتربية الانسان المسلم وتراجع اهتمامهم بالقضية كثيرا في بعض الفترات فهي قضية مركزية ولكن ليست الاولى في مركزيتها، وهو يشير ايضا الى مبدئية الاخوان وتأثير الملك عليهم لدرجة ان الاخوان عند اخذهم لموقف جذري متطرف فهو فقط للمزايدة على الاطراف الاخرى؟؟؟ ثم يأتي لمنعطف حاد اثر على موقف الاخوان وهي الانتفاضة التي دفعتهم للاهتمام العملي والمباشر بالقضية الفلسطينية.

وفي خاتمة الكتاب يتحدث عن الوجود

Digitized by Birzeit University Library

الموضوعي للحركة الدينية، مع بعض النصائح العقلانية لطرفي العلاقة هنا: الحركة الوطنية والحركة الاسلامية وكذا حول المسالة الطائفية وبعض التنظيمات حول عدم اثارة اي نزاع طائفي وكذلك يتحدث عن انه سيثبت الزمن اللاحق، ويوضح ان كانت حماس بديل اولا للحركة الوطنية ويحدد بعض الوصايا للحركة الوطنية بضرورة التماسك والقوة، وان الزمن سيكشف دور حماس كاحتياط لانظمة الخليج التي مولتها. وهذا الكشف يظهر قريبا بعد انتهاء ازمة الخليج. ويركز الكاتب على ضرورة استيعاب كل طرف للاخر فهذه ضرورة اما كيف؟ ولماذا؟ وبأي وسيلة؟ وما هي الضرورة فلم يذكر شيء.

ملاحظات على الدراسة:

هناك فرضية اعتمدها دوما واظن انها سبب الدراسة وهي ان عملية تسييس الدين تكتسح الارض المحتلة مثل النار في الهشيم، والخطر دائم وقائم وتسريب هذا الشعور يطارد القارىء طول صفحات الكتاب مع ان الامور وفي الواقع لا تدعم مثل هذا التصور، وان ابرز دور محدد للاسلام السياسي خلال الانتفاضة لكن لا اظنه بهذا الحجم الذي يستدعي شد الرحال والاستنفار لهذه الدرجة فمثلا حجم معتقلي حماس والجهاد واصدقائهم وانصارهم في معتقل النقب كان طوال الوقت يساوي او اقل من حجم اصدقاء احد الاطراف اليسارية هذا بين الاربيين، وكذا اصحاب القضايا. ففي سجن الخليل ورام الله لم يتجاوز هذه النسبة واذا اخذنا «انصار ٣» مقياسا لان معتقليه هم معتقلوا انتفاضة فهو الى حد ما معبر ودليل على ان الخطر ليس داهما والواقع لا يسند كثير مثل هذا التصور المثالي في تقدير حجم التيارات الدينية.

وهناك ملاحظة اخرى انه من بين المراجع هناك الكثير التي لا يمكن الرجوع اليها مثل المقابلات واي على امانتك يا حجة» وجزء مهم من الكتاب يعتمد على مصادر اسرائيلية وهي في الاغلب معلومات أجهزة أمن او اجهزة أمن اردنية. كذلك برز في الفصل الاول بعض المعلومات التي تثير الشك من نوع ذكر بعض الاسماء وعلاقتها بالاخوان. فمثلا المفتي مسؤول الجماعة؟ او ان الشيخ الجعبري احد زعماء الجماعة؟ او من نوع الوحدة مع النظام الاردني؟؟ ووجود الكثير المشترك بينهم وبين النظام داخليا ولا ادري لماذا؟ وماذا تعني كلمة داخليا؟؟؟ وكثيرا ما يستخدم الكاتب مصطلحا ملاميا لوصف الوضع التنظيمي والسياسي عند الاخوان بلا مبرر اللهم محاولة تفسير انهم مثلا كيف يضعون المفتي مسؤولهم؟؟ كذلك ان عدد اعضائهم ٧٥٠ عضوا بالاعتماد على امنون كوهين؟؟ كذلك يشير ايضا وبالاستناد الى امنون كوهين انهم اي الاخوان تفوقوا على غيرهم من التنظيمات وليس فقط الاسلامية بل القومية واليسارية في الوصول الى المخيمات؟؟ ولا اعرف مدى مصداقية هذه الاشارة للمخيمات تحديدا وليس القرى والمناطق الاكثر محافظة مثل الخليل وغزة وشمالي الضفة.

وتحت عنوان ثوابت موقف الاخوان المسلمين يورد الكاتب ان التحالف مع النظام الهاشمي والبلدان المحافظة ولا اعلم كيف يقرر ان هذا ثابت ومستمر في ثباته؟؟ ثم ثانوية المسألة السياسية والاهتمام اولا بالاخلاق والثقافة، مع ان الفصل غير منطقي على الصعيد العملي في العمل الحزبي او عند تقييم عمل حزبي الا ان هذا الادعاء لا بد من فحصه بدقة اكثر. فالحزب يعني فورا سياسية وليس ثقافة او اخلاق؟!!

وفي ص (٢٩) يورد الكاتب معلومات عن تمويل حزب التحرير من مصادر تمويل امريكية؟؟

ويسهب الكاتب ايضا في طرح موقف الجهاد بشكل تنظيري فهي تفعل اكثر مما تقول وهي منظمة متماسكة وعسكرية وناجحة في المزج بين الديني والوطني مع ان هذا ما نتوق اليه وننتظره في منطقتنا على ما اتوقع وما لم يحصل بعد؟

الا ان هذه الدراسة ليست جديدة في منطلقها، فهي قريبة على منطق السيد الهرماسي عن الاسلام الاحتجاجي في تونس مع فارق ان دراسة الهرماسي سوسيولوجية ودقيقة اكثر. اما هنا فأميل الى السياسة واقل دقة وغير مدعمة مثل دراسة الهرماسي وما يجمع الدراستين هو الدور السياسي للدين. او التعرض لدور الاسلام السياسي؟!!.

هنا اول البر

وسيم الكردي

صدرت عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين المجموعة الشعرية الجديدة «هنا اول البر» للشاعر وسيم الكردي، حيث احتوت المجموعة على قصيدة طويلة بنفس العنوان التي يقول الشاعر عنها بأنها محاولة في الكلام على ايقاعات سلاقة وتنويعاتها.

كما احتوت المجموعة على احدى عشرة قصيدة اخرى، وقد اهدى الشاعر مجموعته «الى الايقاع الاول في الحركة الاخيرة» وتتحرك القصائد في فضاء لا متناه يقوم على التخييل وانباء القصائد على تلاحق الصور وتوالدها.

وقد جاءت المجموعة في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط.

Digitized by Birzeit University Library

خطوات الى الخلف
في نهاية القرن العشرين

د. وائل ابو عرفة

باختصار ووضوح شديدين، اذا لم ندرك انفسنا ونلحق بالعالم، نسينا العالم وداس علينا وادركتنا الكارثة.

والكارثة ليست صنيعة الزلازل والفيضانات وحب، وانما اشد منها وأقسى هي كارثة الانحطاط الحضاري، والتخلف الفكري، والتوقف عن التفكير واستعمال العقل، والتبعية للغرب في كل شيء، حتى الملبس والمأكل. وليس هناك من شك، اننا ومنذ مطلع هذا القرن نعيش فترة انحطاط حضاري مؤلم يتقدم بنا وبشكل مضطرد نحو الهاوية.

فلماذا تقدم العالم وتأخر العرب؟ ولماذا قوي العالم وازدهر في كافة المجالات، وضعف العرب واندحرت قوتهم وانكسرت شوكتهم.

اسئلة كثيرة تخطر على بال كل واحد منا وأجوبتها بسيطة وواضحة:- وهي أننا توقفنا عن التفكير، ووصلنا الى نقطة من الخمول لا عودة عنها، راضين بما قسمه الغرب لنا، ولم نعد راغبين باستعمال عقولنا واستغلال ثرواتنا، وأن نكون في موضع المستهلكين، فاتحين اسواقنا على مصراعيها لكل ما يروجه الغرب من بضائع وصناعات وافكار، نرحب بكل جاهز آت من خلف الحدود، حتى وان تعارض مع اخلاقنا وتراثنا، ونرفض كل ما هو بحاجة للابداع والتطوير. والغريب بالامر ان العالم كله يتقدم ويتطور على حسابنا، ونقف نحن موقف المتفرج، بل وندعه يعيث بكل ثرواتنا، مستغلا اياها كما يشاء في تقدمه وبناء قوته، دون ان يكون لنا رأي، او كلمة، او موقف. والامثلة على ذلك كثيرة لا تحصى، والاسباب كثيرة ومعروفة، ولكن احدا لا يأبه بها او يحاول تقويمها وتسييرها بمسارها الصحيح، الكل يتكلم ولا احد يفعل، والكل يقدم الافعال والنصائح ولا احد معني بالتطبيق، وهكذا دواليك.

في البداية كنا نتغنى بتراث اجدادنا، وما حققوه من حضارة ومدنية وتقدم كان لها الفضل الاكبر في تقدم الغرب وحضارته. هذا التغني والافتخار ليس بالخطأ، ولكن المصيبة أننا اكتفينا بذلك وتوقفنا عنده، لم نحاول ان نكمل الطريق، في حين اختطف الغرب كل هذه العلوم والانجازات، وسار بها الى ما هو عليه الآن، وبقينا نحن في الحضيض، نراقب ما يفعله ومعمقين تبعيتنا له في كافة المجالات، والمصيبة الاكبر، اننا نسينا تراثنا وأهملناه، ولم نعد نأبه به او نعلمه لاجيالنا علّه يكون دافعا لهم للحاق بركب الحضارة.

ان فكرة تقسيم العالم العربي الى دويلات هزيلة، ليست سوى طريقة لاضعافه وبقائه متخلفا تحت سيطرة الغرب، بالرغم مما عنده من ثروات وامكانيات هائلة. وقد اثبتت الحرب الاخيرة على منابع النفط في الخليج، هذه الحقيقة، لكسر شوكة اي قطر عربي يحاول تنمية موارده الذاتية، وتطوير قدراته الصناعية والحضارية، للتخلص من التبعية للغرب، ولكي تبقى هذه المنابع تحت السيطرة الاجنبية، للحفاظ على قوة اقتصادنا، وتعميق التخلف الاقتصادي العربي، الذي بدأ منذ قرن ولم يتوقف.

قلنا ان العرب قد اهملوا لغتهم وتراثهم، مما ادى الى تأخرهم وتعميق تبعيتهم للغرب، ونبدأ باللغة:-

فحتى لغتنا الاصيلة والعريقة، فلم نعد نرغب باستعمالها. صحيح ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية في كافة البلدان العربية، وهي لغة القراءة والكتابة والخطابات الرسمية، لكن استعمال اللغات الاجنبية وبشكل رسمي هو الغالب في معظم معاهدنا وجامعاتنا، وقد وصل بنا الحد الى عقد الندوات والمؤتمرات داعين الى التعريب والعودة الى لغتنا واحيائها، مع وجود العديد من الذين يدعون العلم والثقافة، المعارضين لتلك الدعوات بدعوى ان العربية قاصرة عن استيعاب العلوم الحديثة!! كم هو غريب هذا

Digitized by Birzeit University Library

الامر!! فهل العربية هي لغة حديثة العهد لكي نبحث في ثنايا ها عن مرادفات ومعان لمصطلحات اجنبية حديثة؟؟ ام انها قد ماتت ونقوم بمحاولات يائسة لاحيائها ونفخ الروح فيها، ام ان التركية والبلغارية والعبرية قادرات على استيعاب العلوم الحديثة اكثر من العربية؟

هذه مشكلة تبدو للبعض غير ذات اهمية، ولكنها كانت نقطة البداية في تاريخ تراجعنا واندحار حضارتنا، منذ ان بدأ مفكرونا وكتابنا يتأثرون بديكارت واليوت، متجاهلين عن قصد او غير قصد، المتنبي وابا العلاء وابن خلدون.

لا أدري ما هو سبب تهافت مفكرينا على تقليد الغرب في كل شيء، ولكنه بلا شك، ركن من اركان التراجع الحضاري والتوقف عن التفكير. وأسوق هنا مقاطع من توصية جادة قدمها المفكر العربي السوري الدكتور مازن المبارك، في دعوة الى التعريب في التعليم الجامعي، والتي كما هو معروف لم تلق حتى الآن اذانا صاغية:-

«.. ان اللغة ليست مجرد رموز تستعمل للتفاهم بين ابناء المجتمع الواحد، ولكنها تاريخ فكري يصل بين اجيالها ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فمن خلال الفاظها لا الفاظ غيرها، يدرك ابناء الامة ما حولهم من حقائق الحياة والكون، وبها يعبرون عن افكار امتهم. وعلى هذا تكون اللغة الوجه الآخر للفكر الذي يخص الامة، وإني أرى ان الوعي السياسي والقومي عند الامة لا يبلغ مداه، ما لم يقترن بوعي لغوي سليم».

وقد قال لي استاذ اجنبي للغة العربية في جامعة بلغراد مرة:- «يستطيع العرب اللحاق بركب الحضارة، فقط اذا هم عادوا للفهم وتراثهم الذي تخلو عنه منذ اكثر من مئة عام». فالى متى نبقى بالمؤخرة، واقفين في اماكننا لا نتقدم خطوة واحدة محدبين الرجوع دائما الى الخلف؟.

لقد تقدم الغرب عندما توقفنا نحن عن التقدم، وكان تقدمه على حسابنا في كل شيء، وساعدناه نحن على ذلك في تفرقنا وتشتتنا وتسليم امورنا الى فئات تسير في ركبه ولا تخدم الا مصالحه، وتحولنا من امة واحدة الى امم ودويلات وضع الغرب لنا حدودها وخرائطها، الى ان اصبحنا نعتبرها حدودا مقدسة نتقاتل من اجل الحفاظ عليها، وينهش هو في اجسادنا ويستغل ثرواتنا في بناء قوته واقتصاده، تستهلك ما يصدره لنا، ونمنع عن بعضنا قطرة الماء.

اوروبا في الربع الاخير من هذا القرن، تحولت الى وحدة اقتصادية كاملة، بالرغم من اختلاف شعوبها، واختلاف لغاتهم وتقاليدهم، والبابان اصبحت خلال اقل من نصف قرن، قوة اقتصادية اولى في العالم، بالرغم من هزيمتها والقيود التي فرضت عليها بعد الحرب الكونية الثانية، وبقينا نحن عاجزين حتى عن التنسيق الاقتصادي بين دويلاتنا وشعوبنا، فلو كان عندنا نية صادقة في استغلال مواردنا وثرواتنا الجمة، وخاصة النفطية منها، لاصبح العرب قوة اقتصادية يحسب لها الغرب الف حساب، وتتحكم في قوته واقتصاده، تلك حقيقة تدركها اوروبا واميركا ومن اجلها افتعلتا حرب الخليج.

فاذا علمنا ان الواردات الغذائية للعالم العربي خلال خمس سنوات حتى العام ١٩٨٥، بلغت ثلاثين مليار دولار، وان العالم العربي استورد عدا عن ذلك حتى نهاية العام ١٩٩٠، ثلاثين مليون طن من الحبوب، اي ما يعادل الستين مليار دولار، مع العلم ان الاراضي الزراعية في الوطن العربي لو استغلت وزرعت فانها تكفي لغذاء الشعوب العربية بمعدل عشرة اضعاف حاجتهم دون ان يستوردوا ولا حبة قمح. اذا علمنا ذلك نضع يدنا على احد اهم الاسباب في التبعية الاقتصادية للغرب.

وبالاضافة الى ذلك، تقول الاحصائيات، ان ديون العالم العربي للغرب في نهاية العام ١٩٨٩ بلغت مئتي بليون دولار دون الفوائد المترتبة عليها، في الوقت التي كانت الاموال العربية الموظفة والمستثمرة في بنوك الغرب، تعادل ٦٥٠ بليون دولار منها ٤٦٠ بليون لحساب الاقطار النفطية لوحدها!!

فأي تناقض هذا؟ في الوقت الذي تبلغ فيه الاموال العربية التي يستفيد منها الغرب، ويشغلها لحسابه ثلاثة اضعاف الديون العربية له. وتسألني بعدها لماذا نبكي من كثرة الديون، ونتعاون معهم لكي يساعدونا بجزء منها او من فوائدها، مع ان تلك الديون التي يدفعها لنا هي جزء يسير مما تربحه ارصدتنا في بنوكه ومصارفه، اليس هذا هو الانحطاط بعد ذاته؟.

لقد اثر كل هذا الضعف والانكسار على شخصية المواطن العربي في الخارج.. اصبح العالم يكرهنا ويشمئز منا، مع علمه انه بحاجة الينا والى مواردنا، معظم شعوب اوروبا لا تعرف من العرب سوى تلك القلة الفاسدة التي تفوح منها رائحة البترول، وهي تبذر اموال العرب في حانات وملاهي اوروبا، ونحن نبكي ونتساءل، لماذا يموت اطفال السودان من الجوع والعطش؟؟ ولا استطيع ان انسى جملة قالها لي احد الصحافيين الاجانب، بأن الغرب ينظر بعين الاحترام الى اموال العرب، ولكنه ينظر بعين الاحتقار.

فقط عندما نعود الى التفكير الذي توقفنا عنه، وعندما نعود الى تشغيل عقولنا، وعندما نعود الى لغتنا وتراثنا وحضارتنا، عندما ننبذ الاستهلاك ونبذأ بالانتاج، عندما نصنع ملابسنا ونزرع اراضينا، عندما تكف الايدي الاجنبية عن اللعب بثرواتنا واموالنا، عندها فقط، نستطيع ان نتفادى الكارثة ونتوقف عن التراجع المستمر الى الخلف.

Digitized by Birzeit University Library

الفنان التشكيلي كريم دباغ

حاوره : علي الجريري

• هل تكرمتكم بالتعريف على جماعتكم التشكيلية؟

•• تشكلت الجماعة في ١٩٩٠/٦/١٠ - أي قبل عام بالتمام والكمال - فقد شعر عدد كبير من اعضاء الرابطة، أن الرابطة لا تقوم بالواجب الملقى على عاتقها تجاههم وتجاه الحركة الفنية التشكيلية، لان رابطة الفنانين التشكيليين على مدى ١٦ سنة من تأسيسها، هيمن عليها عدد قليل من الفنانين وسخروها لمصالحهم الشخصية، فالخلاف في الحركة التشكيلية على خلفية احتكار اشخاص معدودين لامكانيات الرابطة وليس على اساس سياسي.

• بعض الفنانين في جماعة التجريب والابداع يرون ان جماعتكم لم تتكون على اساس اتحاد او اتجاه فني بل على خلفية نقابية فما رأيكم؟

•• هذا صحيح، وحتى الآن لم تتبلور في الحركة الفنية، اتجاهات فنية محددة وحتى جماعة التجريب والابداع ليست ذات اتجاه فني واحد، وانما التجمع جاء من اجل خدمة اربعة فنانين استغلوا القنوات المتوفرة او المفتوحة لديهم على العالم الخارجي، وعملوا على تسويق فنهم في اوروبا، وحتى الان الحركة التشكيلية الفلسطينية حركة مبتدئة ولا يمكن مقارنتها بالحركة التشكيلية المصرية او العراقية، التي قطعت شوطا طويلا، وافرزت خلال مسيرتها اتجاهات فنية ومدارس فنية في الحركة التشكيلية. كما لا يجوز مقارنة حركتنا بالزخم الفني في بلاد مثل فرنسا، المانيا وايطاليا، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.

• اذن ما هو المشترك بين جماعة ناجي العلي التشكيلية؟

•• المشترك بين اعضاء جماعتنا هو تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وافساح المجال لكل الفنانين المبدعين الذين اهملتهم رابطة الفنانين التشكيليين، كما سبق واشرت لاهداف شخصية، على سبيل المثال: انا الوحيد الذي اعمل في النحاس واقدم اعمالا تشكيلية نحاسية، ومع ذلك لم يشركوا هذه الخاصة في معارضهم، فالقضية شخصية وليست فنية، وهناك بعض الفنانين في الرابطة يعتبرون انفسهم اكبر من الحركة التشكيلية، ويعملون على وضع هذه الحركة في خدمتهم كاشخاص، وما يجمع بين جماعة ناجي العلي التواضع والابتعاد عن النرجسية والغرور، كذلك يوحدهم الالتزام باخلاقيات الفنان الملتزم بالقضية اولا وبالفن ثانيا، وهذا المشترك بلور التجمع على اساس نقابي وليس على اساس سياسي، على اساس وطني وليس على اساس فئوية ضيقة، وجماعتنا تمتاز بروح الوحدة الوطنية لانها تجمع فنانين من مختلف الاتجاهات بل كافة الاتجاهات.

• هل هناك سمات فنية تميز جماعتكم عن غيرها من الجماعات؟

•• لا يوجد رابط فني بين الجماعة، لا يمكن ان تقول ان هناك مدرسة تجريبية او اتجاها سرياليا واضحا، أو حتى اتجاه حديث متبلور لدى الفنانين، ولم تتبلور مدرسة فنية او اتجاه فني محدد لدى فناني الارض المحتلة، ولكن البصمات الاساسية في اعمال الفنانين مستقاة من الانطباعية والواقعية، وهذه اكثر الاتجاهات الغالبة على اعمال الفنانين.

• جماعة التجريب والابداع تدعي أنها تستخدم تقنية جديدة ما رأيكم؟

•• حتى لو كان هذا الادعاء صحيح من الناحية الفنية، الا أن هذا الجديد لا يعطيهم الحق في التعالي على الحركة التشكيلية، وتسخير الرابطة وامكانياتها، والتفرد في المعارض وغيرها وللحصول على اعتبارات شخصية على حساب مجموع الاعضاء في الحركة التشكيلية.

• كيف تقيمون دور جماعتكم، او كيف تقيم جماعتكم دور الحركة التشكيلية خلال سنوات الانتفاضة الاربعة الماضية؟

•• الحركة التشكيلية خلال سنوات الانتفاضة مثلها مثل الحركة الادبية

Digitized by Birzeit University Library

صورة لحفل الاطفال الذين شاركوا برسوماتهم في المعرض الذي نظمته جماعة ناجي العلي

والشعرية كانت استمرارية لما سبقها، وستكون امتدادا لما سيأتي بمعنى أن الحركة التشكيلية الفلسطينية في الارض المحتلة لا تملك جذورا عميقة في تربة المجتمع الفلسطيني كما يعتقد البعض لاسباب تاريخية معروفة، الى جانب التخلف الحضاري الذي اورثه الاستعمار لنا عبر عهود متتابعة من الوصاية والانتداب والهيمنة والاحتلال، وباعتبارنا جزءا من العالم الثالث، فنحن لسنا فرنسا او اوروبا ومنا ينعكس على العمل الابداعي، ولا استطيع القول أن طفرة قد حصلت في الحركة التشكيلية خلال السنوات الاربع من تاريخ الانتفاضة او من بداية الانتفاضة، وانا اعتقد بانه ما يزال امام الفنان الفلسطيني في الارض المحتلة شوطا طويلا او رحلة الالف ميل التي لم يقطع منها الفنان الفلسطيني في الاراضي الفلسطينية المحتلة سوى خطوات معدودة.

• لم نحصل على جواب لسؤالنا السابق فما هو اثر الانتفاضة في الحركة الفنية؟ وكيف انعكس ذلك على اعمال الفنانين؟

•• من الناحية الادارية حدثت غربلة، فنتيجة الانتفاضة بدأ الفنانون يعرفون موقعهم النقابي، واستطاعوا ان يضعوا حدا للتجاوزات في رابطة الفنانين الامر الذي لم يحصل حتى الآن في أي مؤسسة فلسطينية في الارض المحتلة. او هذا هو الملموس على الاقل، أنا لا اقول اننا عملنا المعجزات، فما يزال امامنا مسؤوليات وعقبات على الحركة التشكيلية تجاوزها والتغلب عليها فنحن نعاني - على سبيل المثال - من غياب التربية الفنية في المدارس والافتقار لقاعات العرض، والكوادر والامكانيات المادية، وعدم اهتمام الرأي العام بهذا الجانب الابداعي، والغياب شبه الكامل، للصحافة التشكيلية ويعاني من اهمال المؤسسات الفلسطينية الثقافية التي تملك امكانيات مادية هائلة. خذ مثلا: هذا العام جرى تخريج أول دفعة من قسم الفنون في جامعة النجاح، وكانت النية متجهة لاقامة معرض خاص في الجامعة للخريجين، ونتيجة الخلافات التي تثيرها بعض الفئات المتعصبة جرى تأجيل المعرض الى اشعار آخر بعد تراجع الادارة عن قرارها تحت ضغوط الفئات المتعصبة، وبعد ذلك تطالبنا بان يكون الفن التشكيلي على مستوى أحداث الانتفاضة؟!.

• هل تعني أن الفنانين التشكيليين لم يتأثروا اطلاقا باحداث الانتفاضة؟!

•• تأثروا في تناول موضوع الانتفاضة كونهم يعيشون المرحلة. لكن هذا شيء والقدرة على ترجمة الانتفاضة لاعمال ابداعية امر آخر، مختلف تماما، فلم يرتفع

Digitized by Birzeit University Library

الفنان حتى الان الى مستوى الانتفاضة، ولم يملك الزخم الذي قدمته الانتفاضة في الساحة السياسية ولم يتمكنوا من نقل هذا الزخم حتى الان الى الساحة التشكيلية، رغم مرور اربعة اعوام على الانتفاضة الباسلة في العمل الابداعي، ولا تستطيع أن تلوم سلفا الفنانين على ما لم ينجز حتى الان لان التفاعل لا يزال مستمرا، وسيأتي اليوم ولو بعد سنوات الذي يستطيع فيه الفنان تجسيد الانتفاضة تشكيليا. هذا الامر ينسحب ايضا على تاريخ الفن الابداعي العالمي، فعلى سبيل المثال حرب التحرير التي خاضها الشعب الروسي سنة ١٨١٢ ضد غزو نابليون لم تتبلور في علم ابداعي روائي فني الا على يد ليو تولستوي بعد ١٠٠ عام في روايته الشهيرة الحرب والسلام.

• ما سر اهتمام جماعة ناجي العلي التشكيلية في رسومات الاطفال؟!

•• اولا: بدأ الاهتمام برسومات الاطفال من أجل سد الفراغ الذي تركته المدارس وخاصة في هذه المرحلة التي تعاني فيها المدارس من سياسة اغلاق شاملة وجزئية.

•• ثانيا: الاهتمام من الاهداف السياسية للشعب الفلسطيني التي ظهرت بشكل واضح حتى في رسومات الاطفال.

•• ثالثا: الاهتمام جاء بسبب رغبة جماعة ناجي العلي لتشجيع المواهب على أمل زرع بذور مستقبلية للفن الفلسطيني وتأمين كوادر للمستقبل.

في حين ترى أن العالم المتحضر بدأ مبكرا ينتبه الى فنون الاطفال ورسوماتهم منذ مطلع القرن العشرين لما لذلك من ارتباط بالدور التربوي والجمالي والترفيهي. والتدريب الابداعي المبكر لرسومات الاطفال أصبحت وصارت مجالا واسعا لعلم النفس وعلم التربية والتحليلات الاجتماعية في تلك الجماعات المتحضرة، وأخيرا عبر بيكاسوا عن امنيته أن يرسم كالاطفال لان الاطفال أصدق الفنانين في التعبير عن الواقع.

• كيف تقيمون رسومات اطفال فلسطين في ظل الانتفاضة؟

•• ننظر الى اعمال الاطفال ورسوماتهم بشكل مختلف عن تقييم اعمال الفنانين الدارسين والذين تجاوزوا عمر الخامسة عشرة، فهم يمثلون صفحة بيضاء حساسة تسجل بشكل عفوي وطفولي بفعل المؤثرات المحيطة به والاحداث السياسية والاجتماعية والثقافية. وتتميز اعمالهم بالصدق والمباشرة دون تزويق كما يحدث عند الكبار، أما اختيار الالوان فتتم بعفوية غيرانها تعبيرية كما في لون سيارة الاسعاف والهلال والصليب، وكذلك الوان العلم، وبقية الالوان ذات انطباعية انسانية من طبيعة الطفل، والاطفال احرار في اختيار الوانهم، وغالبا ما تكون الوان بهية والوان الشهداء بالوان حارة ساطعة، تدل على الفرح، رغم أن الموضوع يرتبط بالحزن والاستشهاد.

Digitized by Birzeit University Library

الحضارات الفنية عبر العصور

(١)

فن القدماء قبل الميلاد

فاطمة المحب

نظرا لما وجدته من نقص في الكتابة في الثقافة الفنية في الوقت الذي يكتبون في الغرب عن تاريخ الفنون وسيرة الفنانين مما يجعل الناس هناك يتفهمون الفنون ويحبونها لذلك رغبت في الكتابة في هذا العدد من هذه المجلة الثقافية وفي اعدادها التالية عن الفن وتطوره منذ اقدم العصور والى يومنا هذا بايجاز عن فن القدماء قبل الميلاد، وعن الفن المسيحي البيزنطي والايطالي والاوروبي، وعن الفن الاسلامي وخصائصه، وعن النحت والرسم في مختلف مراحله ومواطنه، وعن المذاهب الفنية المتعددة والحديثة المتطرفة.

ان الفن كان ومازال المرآة التي تنعكس عليها حياة كل امة حسب الزمان والمكان.

ان الماضي الذي طويت صفحاته يستدل عليه من الآثار الفنية التي خلفها الانسان فهي تنطق بأخبار السابقين، وان ما اتفق عليه كل المؤرخين هو ان البشرية تدرجت في الحضارة وان اقدم تاريخ للانسان هو العصر الحجري عندما كان يصنع ادواته من الحجارة، ولما اكتشف المعدن صار يصنعها من المعادن المختلفة، ولقد وجدوا في المغارات التي كان يسكنها الانسان الاول رسومات على جدرانها تمثل حيوانات مختلفة وذلك في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا وقد سمي ذلك العصر البدائي.

اما الحضارات الفنية القديمة فقد نشأت عند الانهار مثل أنهر النيل، دجلة والفرات، وكذلك على سواحل البحار مثل الساحل الجنوبي الشرقي لبلاد اليونان، وبعض سواحل آسيا الصغرى وساحل لبنان. وكذلك في الجزر ومن امهما جزيرة كريت.

١- الفن المصري

لقد اجمع المؤرخون على ان الحضارة المصرية الفرعونية هي اقدم حضارة في التاريخ وكانت على ضفاف نهر النيل - لقد سبق المصريون غيرهم الى ابتكار الكتابة وتدرجوا من الصورة الى الرمز ثم الى الاحرف الهجائية وكتاباتهم الهيروغلوفية، قد دونوا بها اخبارهم وحوادثهم للاجيال القادمة كما انهم فكروا في فلسفة هذا الكون مما ادى الى تكوين ديانة تؤمن بمظاهر الطبيعة فكان لها عدة آلهة عبدوها امهما الشمس ورمزوا اليها بالقرص المجنح ... كما انهم كانوا يؤمنون بالبعث مما حدا بهم الى بناء الاهرامات الشامخة من الحجر وما هي الا قبور لملوكهم وقد زينوا حجراتها في الداخل بالزخارف وبصور عن حياتهم وحروبهم وملوكهم وعبادتهم، فالدين كان هو الموجه للحركة الفنية في مصر.

اما النحت فكان من الحجر لملوكهم ولمعبوداتهم وبعض هذه التماثيل كان يفوق الوصف في ضخامته مثل تمثال ابي الهول عند الهرم من ضواحي القاهرة، اما هرم

فن فرعوني / فرقة موسيقية

Digitized by Birzeit University Library

الفرعون خوفو فقد كان شاهق الارتفاع ولقد اقام المصريون المسلات الطويلة تخليدا لآلهتهم وقد بنوا المعابد الكثيرة الاعمدة حيث كانت تزخرف تيجان الاعمدة بزخرفة نباتية او على شكل النخلة او زهرة البشئين ومن هذه المعابد معبد آمون الشهير في الكرنك اما تماثيلهم فقد كانت رائعة وصنعوا لها عيونا ملونة من الاحجار الكريمة البلورية.

تمثال الملكة نفرتيتي

اما رسومهم فكانت رائعة وبالوان جميلة. لقد تعرضت مصر لغزوات الاغريق حيث احتلها الاسكندر سنة ٣٣٠ قبل الميلاد ومن بعده اخذها اتباعه وهكذا انتهت الدولة المصرية ولكنها اعطت فنونها للشعوب الاخرى.

٢- فن ما بين النهرين دجلة والفرات

قامت على ضفاف نهر دجلة والفرات حضارة قديمة اممها بابل وآشور ولم نجد من آثارهم الا القليل لانها كانت من الطين، وان كثرة الحروب في تلك المنطقة طبعت الفن بالطابع الدنيوي ولم يهتموا للديانة كثيرا بل انهم بنوا القصور والابراج وقلت المعابد وكذلك فانهم لم يؤمنوا بالبعث، لقد زخرفوا قصورهم بالمرمر والقاشاني والفسيفساء وبالرسوم التي تمثل حياتهم وحروبهم او الصيد. وكذلك بالزخارف الهندسية والبنائية - اما كتابتهم فكانت المسمارية - وبالنسبة للنحت فكانت تماثيلهم ملتحية عابسة بعكس تماثيل المصريين الجميلة الرائعة المبتسمة، ولقد تأثر الفن الاشوري قليلا بالمصري ولكنه اثر بدوره على الفن الفارسي.

٣- الفن الفينيقي

تقع فينيقيا على الشاطىء الشرقي للبحر الابيض المتوسط القسم المسمى الان لبنان والى الجنوب منها فلسطين، وهذه المنطقة كانت جسرا بين الشرق والغرب. وبما ان الفينيقيين اشتهروا بالتجارة البحرية فقد تأثروا بالفن المصري والاشوري والفارسي والاغريقي فكانوا وساطة نقل للحضارات بين الامم القديمة.

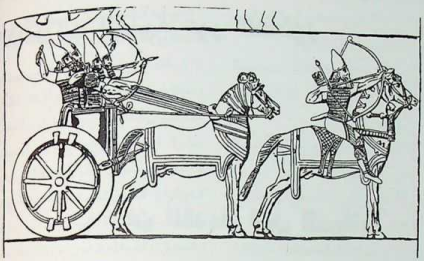

فن اشوري / عربة حربية وفرسان

استعمروا مناطق عديدة منها قرطاجنة وعرفوا الكتابة.

٤- الفن الفارسي

تأثر الفن الفارسي بالاشوري والمصري والاغريقي وقد عبدوا النار فأقاموا المعابد وزخرفوها بزخارف هندسية ونباتية ومن الانسان والحيوان. وقد افرطوا في استعمال الاعمدة، بنوا القصور الفخمة ورسومهم تدل على الجمال والابتكار. أثروا على الفن الهندي وباحتلال الاسكندر الفارسي والهند تأثرت المنطقة بالفن الاغريقي. كانوا احيانا يحتلون سوريا وفلسطين ومصر قبل الميلاد.

٥- الفن الاغريقي

بدأت الحضارة في جزيرة كريت وتأثرت بالفن المصري ثم انتقلت منها الى بلاد الاغريق اي اليونان، عبد الاغريق عدة آلهة قبل آلهة السماء وآلهة الشعر وآلهة الجمال. أقاموا المعابد وكانت تتخذ في الجبال ثم صاروا يبنونها بالحجارة ويزخرفونها بزخارف بنائية او هندسية او

Digitized by Birzeit University Library

فن فارسي / حراس الملك

صور الميثولوجيا اي الاساطير. ولما كانت الرياضة البدنية من تقاليدهم فهم الذين اوجدوا الالعاب الاولمبية لذلك اشتهروا في النحت واقاموا تماثيل كثيرة رائعة ورجوهما معبرة، لقد ابدى الاغريق شجاعة في الحرب والاستعمار ففي عهد الاسكندر سنة ٣٣٠ قبل الميلاد وصلت فتوحاتهم حتى الشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى وفارس والهند. لذلك تأثرت كل تلك المناطق بالفن الاغريقي ولقد حكم البلاد اتباع الاسكندر من بعده ولكنها سقطت في ايدي الرومان ١٤٦ قبل الميلاد، وقد اكتشفوا الكتابة اللاتينية وخلفوا للعالم حضارة فنية كبيرة مع انتهاء حكمهم بانتصار الرومان عليهم.

٦- الفن الروماني

ان قرب ايطاليا من جزيرة صقلية سهل لها الاتصال بشمال افريقيا. ولقربها من بلاد الاغريق فقد تأثرت بالفن الاغريقي. عبد الرومان آلهة تشبه آلهة الاغريق وكان

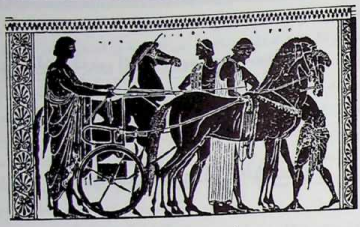

فن اغريقي / سقر المحاربين

حكمهم قبلها الحكم الجمهوري ثم اصبح امبراطوريا قبل الميلاد وظل هكذا الى ان انقسمت الامبراطورية الى شرقية عاصمتها بيزنطة والى غربية عاصمتها روما، ولقد تأثروا ايضا بالفن المصري والاشوري وذلك عن طريق الفينيقيين الذين ساعد عددهم ورواجهم في البحار على اتصال الفنون ببعضها، اهتم الرومان في الدنيا اكثر من الدين وبنوا المسارح والقصور وزخرفوها بالزخارف الملونة او النحت البارز او صور الاساطير ولقد عرفوا الكتابة ومي احرف الهجاء اللاتينية - لقد تفنن الرومان بالاعمدة التي استعملوها بكثرة وكانت قواعدها مربعة ذات حلبات دائرية وتيجانها مزخرفة زخرفة بنائية او هندسية ومثال على هذا مدينة جرش الاثرية والمدرج الروماني في عمان، ان نهضة الفن الروماني في العهد الامبراطوري كبيرة ويمتاز فنهم بالعظمة استمدها من كبرياء اباطرتهم. وان تماثيلهم التي صنعوها لاباطرتهم كثيرة منها تمثال اغسطس من المرمر. لقد عرفوا الفسيفساء وزخرفوا الاراضي منها، عرفوا المنظور الهندسي الذي يظهر الاشياء اصغر كلما بعدت - وعرفوا الظل والنور الذي يجسم الرسم وكذلك عرفوا الالوان المركبة الى جانب الاولية، لقد اخضع الرومان قرطاجنة المدينة التي كانت تابعة للفينيقيين والتي منها انتقل الفن الى اوروبا. لقد بسطوا نفوذهم على سوريا والاردن ومصر وفلسطين واسبانيا وحتى بريطانيا تاركين آثارهم في كل منها - ولقد بلغت الدولة اوجها في عهد قسطنطين الذي نقل عاصمته الى بيزنطة وسماها القسطنطينية ولما اعتنق الديانة المسيحية وتبعه بلاد كثيرة في اعتناقها لذا انتهى العهد الوثني الروماني ولكنهم تركوا للشعوب فنونهم العظيمة، اما البتراء في الاردن فهي من عمل العرب الانباط ومنحوته في الصخر.

فن روماني تمثال امبراطور

Digitized by Birzeit University Library

«مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني»

«بعض الجوانب الفنية»

كامل الباشا

الطموح كبير والامال عظيمة، والجهد المبذول يتطلع لتحقيق هذا الطموح والرقي بالحركة المسرحية الفلسطينية من خلال التفاعل المستمر والعمل المضني والشاق لارساء دعائم مسرح ملتزم ينافس مثيله في الوطن العربي والعالم، ويثبت بأننا شعب كغيره من شعوب العالم فيه فنانون يشعرون بالمسؤولية ويناضلون مع ابناء شعبهم من موقعهم المتميز حيث للكلمة اثرها، وللعمل الفني الناجح دوره في تحقيق آمال وتطلعات هذا الشعب، ففي المعركة الحضارية التي نخوضها لا بد للمسرحيين قبل غيرهم ان يؤكدوا على وجودهم في موقعهم ليس من خلال الكلمات الرنانة الجوفاء او من خلال المقابلات الصحفية الموجهة لخدمة هذا او ذاك، بل من خلال العمل الشاق والجهد المثمر الذي لا يوفر لاي منهم لقمة العيش التي يفسحها غيرهم من مدعي الفن بأطيب واشهى المأكولات.

ان فنانينا الذين شاركوا في هذا المهرجان ضحوا بوقتهم وجهدهم دون مقابل بينما استمر مدعو الفن من الكسالى الباحثين عن مصالحهم الشخصية او عن لقمة عيشهم - كما يدعون - يمارسون حياتهم بعيدا عن المسرح حتى انهم لا يكلفون انفسهم في غالب الاحيان عناء الحضور لمشاهدة عرض مسرحي بحجة ان ما يعرض ليس في المستوى المطلوب !!! وكأنهم بلغوا ما بلغه لورنس او ليفيه من مجد وشهرة جعلتهم يترفعون عن رؤية ابراهيم عليوات او درويش ابو الريش او ايمان عون او علي حجاوي او غيرهم من الفنانين الفلسطينيين الذين لا هم لهم سوى الاستمرار في العمل المسرحي مهما كانت الظروف.

قد تبدو تلك المقدمة غريبة بعض الشيء على القارىء الذي يعيش اجواء الحركة المسرحية، ولا بد انه سيتساءل عن السبب في تلك اللهجة العنيفة التي بدأت بها مقالتي؟.

انه تلك المهاترات والاحاديث الجانبية التي رافقت المهرجان وتلته، هو تلك الممارسات التي يمارسهاالفاشلون الذين يستمرون بالتنظير حول الحركة المسرحية دون ان يقدموا عملا مسرحيا واحدا ولسنوات طويلة، فاذا ما سألتهم عن المهرجان اجابوك: ان رابطة المسرحيين الفلسطينيين نظمته نتيجة لعدم تمكنها من القيام بأي نشاط آخر وذلك بهدف تبرير وجودها، ذلك الوجود الذي لا يعترفون به مع العلم ان النظام الداخلي للرابطة لا يقبلهم لعضويتها نتيجة عدم اكتمال شروط العضوية لديهم لاستنكافهم عن ممارسة العمل المسرحي منذ سنوات طويلة.

المهم هنا هو ان رابطة المسرحيين الفلسطينيين قد نجحت في تنظيم هذا المهرجان، وعلى الرغم من كافة الاخطاء التي حدثت اثناء وقبل المهرجان سواء أكانت في التخطيط او التنفيذ والتي نتجت عن عدم وجود خبرة سابقة لدى فناننا في تنظيم مهرجانات من هذا النوع، فانني استطيع القول بأن الرابطة ممثلة بأعضائها قد نجحت في اشاعة جو مسرحي متكامل مدة عشرين يوما لم تشهد له القدس مثيلا في تاريخها المسرحي، واعتقد بأنها بداية جيدة لطريق طولها الف ميل.

انني هنا لست بصدد كتابة دراسة تقييمية للمهرجان او لفعالياته وانما سأحاول تناول بعض الجوانب الفنية في الاعمال التي تم عرضها، تاركا الحديث عن الموضوع والاداء وغيره من الجوانب التي تحتاج لدراسة تفصيلية لكل عمل على حده ولذا فانني سأتناولها جميعا حسب ترتيبها في برنامج المهرجان.

١- حبل الشر - فرقة الجوال المقدسي.

تأليف واخراج: صقر السلايمة
تمثيل: هنادي السلايمة، والد السلايمة، صقر السلايمة.

Digitized by Birzeit University Library

هذه المسرحية هي الوحيدة المخصصة للاطفال وعلى الرغم من خلوها من كافة عناصر الابهار التي غالبا ما تستخدم في مسرح الطفل لاثارة خياله، الا انها نجحت في ذلك ولو بدرجة بسيطة جدا بواسطة لوحة الارض التي رسمت في الخلفية كأرض خضراء، ثم تحولت بكل ساجها الى لوحة اخرى تصور ارضا جرداء.

ان الجيد في هذه المسرحية كون بطلتها طفلة تتوجه الى الاطفال بحديثها عن صاحب الارض وتقوم بما يقوم به الراوي كحلقة وصل بين المشهد التمثيلي وبين الجمهور. ولكن مخرج المسرحية وقع في الخطأ القاتل الذي يقع فيه اغلب العاملين في مسرح الطفل باعتماده اسلوب التوجه المباشر الذي لا يخلو من اللهجة المشوبة بنمط الكلمات في محاولة لافهام الاطفال ما يراد قوله، وذلك ناتج عن الاعتقاد السائد بأن الطفل لا يفهم طريقة البالغين في الحديث مما يدفعهم الى تبسيط الكلمات والمبالغة في توضيحها وتكون النتيجة ان يصبحوا مثارا لسخرية الاطفال، ويرسخ في اذهانهم الانطباع السائد الذي يصور الفنان بصورة مهرج هدفه اضحاك الناس وتسليتهم بترداد امور يعرفونها ولكن بطريقة مضحكة.

ثم ان المسرحية كانت عبارة عن حوار متتابع وحركة بسيطة لم تستطع ان تملأ المساحة المسرحية وان تستغلها طبقا لرؤيا اخراجية واضحة المعالم والاهداف. وعلى الرغم من اشراك الاطفال في قطع حبل الشر الذي امتد على خشبة المسرح الا ان هذا الفعل لم يتم استخدامه جماليا لخدمة المسرحية.

٢- موتى بلا قبور - مسرح الورشة الفنية.

تأليف: جان بول سارتر

اعداد واخراج: مازن غطاس

تمثيل: علي حجاوي، جورج ابراهيم، سهام غزالة، كامل الباشا، مايكل مسيس، وليد عبد السلام، جاكي ايوب، وخلف امير طه.

عرضت قبل المهرجان اكثر من عشرين عرضا، وحظيت بدعاية كبيرة لكثرة ما كتبت عنها الصحف وما تداولته السنة الجمهور، واصبحت تشكل محطة هامة في تاريخنا المسرحي. فهي من المسرحيات التي تكاملت كافة عناصرها الفنية بدءا بالنص ومرورا بالديكور والاضاءة والموسيقى والتمثيل والملابس والاكسسوارات وانتهاء بالاخراج الذي صنع من كل ذلك نسيجا محكما جعل المسرحية عملا ناجحا بكل ما للكلمة من معنى. واستطيع القول بكل ثقة انه لم يبق على المنصة سنتمترا واحدا لم يتم استغلاله وتوظيفه ضمن خطة اخراجية محكمة وواعية، لقد تم تطويع النص للتأثير على الجمهور وتم تطويع الممثلين للتعبير عن النص بدرجة جعلت الالتحام بين الخشبة والصالة يفرض نفسه فرضا.

واحتوى العرض في كل لحظة من لحظاته على لوحة فنية رائعة، فلو اننا اخذنا لقطة فوتوغرافية لاي لحظة مسرحية فاننا سنجد التكامل الفني واضحا من خلال العلاقات الجمالية التي تتضح عن طريق (الميزانسين) وتوزيع الممثلين على المنصة وارتباطهم بنقطة التركيز العلائمة في تلك اللحظة وتوزيع المسافات بينهم وتمديد مركز الحدث ومدى اهميته عن طريق دراسة حركة اجسادهم. وكل ذلك تجده في كل لحظة مسرحية من بداية العرض حتى نهايته. فالمشاهد مكونه من لحظات متداخلة تشد المشاهد نحوها دون ان يفقد الاحساس بالاهيام الذي يخلقه المسرح، ولكنه في الوقت ذاته يستمر ادراكه الذي يخلقه الديكور التجريدي بأنه امام عمل مسرحي مقنع وليس امام حقيقة واقعة. ولقد ظهر واضحا من خلال الفصل الثاني ان الخروج عن التقليدية في المعالجة الاخراجية للدراما قد يشكل عاملا هاما في نجاح المسرحية اذا ما تم توظيفه بصورة مقنعة، فالمشهد يعرض عملية التحقيق، وكان من الممكن تناوله بشكل تقليدي، ولكن طريقة التناول التي اختارها المخرج باستخدام العاب رياضية كان لها شديد الاثر في نقل التأثير المطلوب دونما حاجة الى عملية الضرب المعتادة او تمزيق الملابس او غيرها مما اعتاده جمهورنا في مشاهد من هذا النوع.

واذا كان ثمة مأخذ على هذه المسرحية فهو لجوء الممثلين في بعض الاحيان الى المبالغة في استدرار العواطف. الذي مازالت اثاره باقية لدى فنانينا نتيجة لتأثرهم بالاعمال الهابطة التي تعرض على شاشات التلفاز يوميا.

٣- الزبال - مسرح الرواة

اخراج - درويش ابو الريش.

تمثيل - اسماعيل الدباغ.

المونودراما او مسرحية الممثل الواحد شكل مسرحي يعيد الى الاذهان شخصية الراوي او الحكواتي التقليدية التي نعرفها سواء بالمشاهدة او عن طريق القراءة والاستماع. وفن الحكواتي هو ابسط اشكال العرض المسرحي واصعبها على الاطلاق، لانه يعتمد اساسا على ممثل واحد، ويحتاج الى حضور لديه يمكنه من شد الجمهور والتأثر فيه.

في الزبال خروج عن السمة الاساسية للحكواتي، ولا ادري ان كان هذا الخروج للافضل ام لا، ولكنني اؤكد على استمتاعي بمشاهدة هذا العمل رغم قناعتي التامة بأن المونودراما لا تشكل عملا دراميا متكاملا مهما بلغت قدرات القائمين عليه. فالتفاعل بين الشخصيات غير موجود وقد كان الحكواتي يستعيض عنه بالتفاعل مع الجمهور ومحاولة استفزازه، ولكن مسرحية

Digitized by Birzeit University Library

الزبال كسرت هذا التوجه وخلقت حاجزا فصل بين الممثل والمشاهد، وعلى الرغم من استخدام كافة مساحة العرض الا ان الممثل بدا ضائعا في غالب الاحيان نتيجة تمركزه في زاوية من زوايا المنصة متوجها بالحديث الى شخصية متخيلة تاركا بقية المنصة خالية دونما مبرر موضوعي او شكلي يخدم العرض.

٤- قضية المدعو: (س) - مسرح الرحالة

تأليف واخراج - يعقوب اسماعيل.

تمثيل - كامل الباشا، سهام غزالة.

المسرح الدائري او مسرح الحلبة كما يحلو للبعض تسميته معروف في كافة انحاء العالم، وهو شكل معاصر من اشكال التناول المسرحي التجريبي الذي نادرا ما يقدم المخرجون على التعامل معه لاعتبارات كثيرة اهمها الصعوبة في بناء الحركة التي لا بد وان تضع في الاعتبار كون المتفرجين يحيطون بمساحة العرض من كافة الجوانب. ولكن النص قد يفرض احيانا اسلوب عرض متميز وذلك كنتيجة حتمية لغرابة النص او بالاحرى غرابة التركيبة اللغوية، مما يفرض على المخرج حركة مسرحية متلائمة مع هذه الغرابة كي تنقل الحركة اجواء الكلمة ولتستطيع التعبير عن الموسيقى الايقاعية للنص المسرحي.

لقد نجحت المسرحية في اثارة الكثير من التساؤلات سواء على مستوى المضمون او الشكل، وقد كان ابرز ما يميزها ذلك التناقض الظاهري الذي استطاع المخرج ان يستخدمه بذكاء حاد واقصد بذلك التناقض بين الكلمة والحركة كما حدث في مشهد الحديث عن طرق الاغتيال اذ تم عرض المشهد بصورة جعلته اقرب الى اللهو منه الى الجدية مما اثار الضحك لدى وصف مشاهد بشعه تصف طرق الموت وتتحدث عن الدماء.

لقد قدم العرض باسلوب تمثل في كسر الحركة التقليدية للممثلين وجعلهم يتصرفون كبهلوانات داخل سيرك او حيوانات حبيسة في قفص دائري ومجبرة على تقديم عرض شاق لجمهور حضر للتمتع والافادة، وببساطة متناهية فان لهذا العمل لغة حوارية متميزة تسير بخط متوازن مع لغة حركية غير تقليدية لا يمكن شرحها او ايصالها للجمهور دونما مشاهدة للعرض.

٥- ناطرين فرج - المسرح الشعبي سنابل - عرض فيديو.

للاسف الشديد لم اتمكن من مشاهدة العرض لظروف خاصة.

٦- خربشة في محطة.

تأليف وتمثيل واخراج: ابراهيم عليوات، فلنتينا ابو عقصة.

السريالية مدرسة لها تأثيراتها في كل من المسرح والسينما والموسيقى والرسم وغيرها من الفنون. وارتباط السريالية بمسرح اللامعقول ارتباط جدلي اذ انها تنطلق من لا معقولية الواقع محاولة عرضه دون اثارة حلول او حتى البحث عنها. وهذه المسرحية يمكن تصنيفها تحت اسم مسرح اللامعقول اذ انها نجحت في نقل الاحساس بلا معقولية ما يجري على الخشبة سواء عن طريق تركيبة النص المكونة من صور لا يربط بينها رابط منطقي او عن طريق الحركة التلقائية المرتبطة بالحاجة الى تلك الحركة دونما ارتباط بالنص او رغبة في التعبير عنه.

ولكنها وبرغم كافة عناصر النجاح المحتواة فيها عاجزة عن الوصول الى المشاهد العادي الذي يصعب عليه تفهم الدوافع الحقيقية لتقديم عمل من هذا النوع، وهي في الغالب دوافع ذاتية بحتة لدى الفنان للتعبير عن اشمئزازه من الواقع المعاش بشعه لتغيير هذا الواقع، وهذا لا ينبع عن تقاعس الفنان في تأدية واجبه، وانما غالبا ما ينبع كنتيجة حتمية لعجزه عن فهم الواقع الذي يعيش مما يدفعه لعرضه كما يراه امامه تاركا للمشاهد الحرية في اختيار الحلول وتنفيذها.

٧- لازم اضوي - مسرح الجوال

تأليف وتمثيل - صقر السلايمة

اعداد واخراج - حسام ابو عيشة

هذه مونودراما اخرى تختلف عن سابقتها من حيث المضمون واسلوب الطرح في حين تتفق معها في الهدف المتمثل في الطلب من الجمهور ان يعتمد على نفسه.

وبطبيعة الحال فان اختلاف المضمون ادى الى اختلاف واضح في المعالجة حيث اعتمد المخرج هنا في بناء حركة ممثلة على خطين مستقيمين احدهما افقي موازٍ الاضاءة الامامية والاخر متعامد معه بزاوية قائمة ويقطع منتصف المسرح من الاسفل الى الاعلى، ولقد كان الاعتماد الاكبر على الخط الافقي حيث استخدمه المخرج في اغلب الحالات مغفلا خط العمق العمودي الذي كان من الممكن لو تم استغلاله بشكل جيد ان يؤدي الى تعميق التأثير النفسي لدى المشاهد، ولقد بقيت المساحة وسط واعلى المنصة خالية مهملة دونما مبرر ذاتي او موضوعي.

وعلى الرغم من عدم الاعتماد بشكل كلي على العلاقة الروائية - اقصد وجود الراوي - بين الجمهور والممثل، فان هذه العلاقة برزت بوضوح من خلال بعض الجمل المتناثرة التي يتوجه فيها الممثل بالخطاب الى الجمهور مباشرة مما ادى الى كسر حاجز الايهام في لحظات

Digitized by Birzeit University Library

معينة.

٨- انصار - المسرح، للثقافة والفنون الفلسطينية.
تمثيل - نضال الخطيب
اسماعيل الدباغ
اخراج - فاتح عزام

تعتبر هذه المسرحية اول عمل يتناول التجربة الاعتقالية داخل معتقل انصار الصحراوي، وعلى الرغم من عدم تعمقها في طرح المعاناة التي يعيشها معتقلو انصار وغيره من المعتقلات، الا انها نجحت في نقل صور فوتوغرافية لكافة مراحل التجربة الاعتقالية عن طريق مجموعة من المشاهد لم يتم الربط بينها بشكل محكم نتيجة الضعف الواضح في بنائها الدرامي، ولحظات الاطفاء المتكررة التي استخدمها المخرج للانتقال من مشهد الى آخر.

لقد اعتمدت المسرحية على الحركة المرسومة او المنظمة بشكل جعل التناغم بين الحرك والكلمة يؤدي الغرض منه في اكمال الصورة الجمالية للعمل حيث تم الاعتماد على رسم تكوينات جمالية استغلت الفضاء المسرحي بشكل مقنع ساعد على تعميق المعنى الذي تضمنه النص وعلى اكسابه ابعادا اضافية ادت الى الكشف عن النص المختزن والى الابتعاد عن اللجوء الى الشعار.

واستخدم المخرج التجريد في معالجة كافة العناصر بدءا بالديكور ومرورا بالاضاءة والاكسسوارات والملابس والحركة ليخرج العمل توثيقا صادقا للتجربة الاعتقالية في انصار وليشكل بداية جريئة في معالجة هذا الموضوع الذي لم يأخذ حقه كما يفترض.

٩- القميص المسروق - عن قصة غسان كنفاني
تمثيل: كامل الباشا، درويش ابو الريش، ريم اللو/ ايمان عون
اخراج: عماد متولي

اعتمدت المسرحية بالدرجة الاولى على اسلوب المسرح الملحمي في كسر الايهام وبناء علاقة مميزة مع الجمهور بحيث تم استخدام المنصة والقاعة كفضاء للعرض المسرحي، فالمسرحية مكونة من مجموعة من المشاهد تم الربط بينها عن طريق كسر المسار الطبيعي للقصة واللجوء الى شخصية الممثلين ثم العودة الى شخصيات المسرحية بتداخل بين هذه الشخصيات يقود في النهاية الى بناء القصة بأكملها.

في المسرحية تجري مشاهد بين الجمهور واخرى على المنصة، كما ان تغيير الملابس والديكور والمستلزمات المسرحية يتم تحت بصر الجمهور وسمعهم. انه عمل ينكشف فيه امام الجمهور ما يجري في الكواليس من تغيير للملابس وحوار بين الممثلين وحوار مع المخرج.

اما المنصة فقد تم تقسيمها الى ثلاثة اقسام بمقاطع طولية متعامدة مع خط الاضاءة الامامية، وهذا ما جعل بعض المشاهد تفقد ديناميكيتها على الرغم من محاولة المخرج باستخدام بعض الاكسسوارات التي ساعدت على كسر جمودها الى حد ما، فقد كان الفعل المسرحي احيانا يشغل جزءا بسيطا من المنصة مما افقد المنصة الارتباط بما يحدث وجعلها غير ذات معنى في حين كان بالامكان الاستغناء عن المنصة كليا واللجوء الى توزيع المشاهد داخل قاعة بشكل متوازن يدفع بالجمهور للتحرك من مكان الى آخر بغية متابعة الحدث الدرامي.

١٠- عرس عروة - فرقة حناظل المسرحية - قطاع غزة.
مسرحية شعرية، تأليف: عبد الحميد بقطش
تمثيل: سعيد البيطار، سعيد عبد، يسري المغاري، جمال الرزي، نواف ابو عمره، مصطفى النبيه.
اخراج: سعيد البيطار.

ان النوايا الطيبة ليست كافية للحكم على اي عمل مسرحي بأنه ذو مستوى جيد او عكس ذلك، ولكنها في الوقت ذاته كافية للقول بأن مسرحية عرس عروة كانت بداية لا بأس بها للفرقة الفزية الوحيدة التي تمارس نشاطها المسرحي منذ بضعة شهور والتي يحاول اعضاؤها تطوير طاقاتهم التي تبشر بالخير رغم كافة المعوقات. كل ذلك لا يمنعني من القول ان هذه المسرحية الشعرية لم تصل الى الجمهور وذلك لعدة اسباب منها: ان الالقاء الشعري لم يكن سليما حيث افسدت الاخطاء اللغوية الكثير من المعاني التي يحتويها النص، ثم ان اسلوب المبالغة في الاداء عن طريق الاغراق في المشاعر الجياشة والانغماس في الخطابية جعل اشد المواقف تأثيرا تبدو مضحكة لشدة استغراق الممثلين في الميلودرامية. وعلاوة على ذلك فان المسرحية خلت من الرؤية الاخراجية الواضحة وبالتالي فان بناء الحركة المسرحية لم يكن مبررا او مدروسا، وعلى الرغم من وجود بعض اللوحات الجميلة التي تضمنتها المسرحية، الا ان هذه اللوحات فقدت جماليتها نتيجة لكونها مقحمة في جو العمل ولم تأت ضمن تطور طبيعي منطقي من داخل العمل ذاته. وفي الوقت الذي كان من الممكن فيه ان يقدم الاداء الموسيقى الحي اضافة جميلة للمسرحية ثم القضاء على هذا العنصر عن طريق اخفاء عازف الموسيقى خلف الكواليس.

١١- غويرنيكا - مجموعة ارابال
تأليف - فرناندو ارابال
تمثيل: ايمان عون، عامر خليل، كامل الباشا، حسام جويلس
ادوار معلم.
اخراج: يان ويليامز

Digitized by Birzeit University Library

الالتزام العرضي بنص فرناندو ارابال بدا شديد الوضوح من خلال التركيز على كل جملة حوارية يقولها الممثلون، ولكن هذا الالتزام بالنص لم يرافقه التزام مماثل بملاحظات المؤلف مما اوقع العمل في تناقض بين ما يقال وبين ما يعرض على الخشبة، فالمسرحية تعرض شخصية مركزية واحدة هي «فانشو» الذي يدور حوار بينه وبين زوجته المدفونة تحت الانقاض والتي لا تظهر على الخشبة الا كصوت يأتي من تحتها، ان لجوء المخرج الى اظهار الزوجة على الخشبة كان يحتم عليه القيام بتغييرات اخرى لدى تناوله بقية الملاحظات المسرحية المتعلقة بالكاتب والصحفي والجندي والام والطفلة، وهذا ما لم يحدث مما يجعل التوازن الموجود في النص الاصلي مفقودا في المعالجة الاخراجية، وجعل المساحة مجرد مساحة فارغة تقطعها بين المشاهد خطوط مستقيمة حادة تحاول كسر جمودها دونما نجاح. لقد بدأ العرض كلعبة تنس الطاولة حيث تنتقل الكرة من اليمين الى اليسار وبالعكس في حركة مرهقة لم يخفف من رتابتها سوى التلوين الذي ميز اداء الممثلين في غالب الاحيان.

وخلافا لملاحظات المؤلف ايضا فقد علقت نسخة عن لوحة بيكاسو «غيرنيكا» في عمق الخشبة وعلى الرغم من جمال اللوحة الا انها ما لبثت ان فقدت معنى وجودها بابتداء العرض، ذلك ان العلاقة بين اللوحة وبين المسرحية لم تكن واضحة، كما ان اللوحة لم تستغل على الاطلاق في خدمة العرض فبدت مجرد خلفية مزينة من عالم آخر.

١٢- الرجال لهم رؤوس - مسرح الرحالة

تأليف: محمود دياب

تمثيل: سهام غزالة، محمود عوض، صقر السلايمة

اعداد واخراج: يعقوب اسماعيل

ان الربط بين هذه المسرحية وبين مسرحية قضية المدعو (س) يوضح لنا ان مخرج مسرح الرحالة يتميز عن غيره من المخرجين في قضيتين اثنتين الاولى لجوءه الى الجو الطقسي الذي يعني استخدام الطقس الشعائري اضافة الى استخدامه للشموع وهذا ما نلاحظه في العملين، والثاني نزعته التجريبية الواضحة، ولست هنا بصدد تحديد ما اذا كان ذلك ايجابيا او سلبيا ولكنها ملاحظة اود تسجيلها.

في الرجال لهم رؤوس يتوضح الطقس منذ البداية وتنسجم الحركة مع العلاقة النفسية لشخصيات المسرحية، ويستخدم التجريد كوسيلة لخلق جو خاص لعالم خاص لا يحدد زمانا او مكانا، وتأتي الموسيقى الحية من قلب الجمهور لتضع لمسة جميلة على العمل، ولكن!!

لم تعلني الفكرة الاساسية من المسرحية رغم مشاهدتي للعرض مرتين وذلك عائد حسب تصوري الى التشتت في الاسلوب وعدم التركيز على نقطة واحدة ومحددة وبنائها البناء الدرامي المناسب. كما ان اقحام بعض الانفعالات المبالغ فيها والتي جاءت كتقليد للاسلوب الافتعالي للمسرح المصري المبتذل بهدف الاضحاك ادت الى النزول بمستوى العرض، يضاف الى ذلك ان الخط البياني للاداء كان اشبه بخط بياني لضربات قلب مريض يعاني من ازمة قلبية حادة وهو على وشك الموت. اما استخدام مساحة العرض فقد تم بشكل جيد رغم انه اخذ في غالب الاحيان شكل نصف الدائرة التي يربط بين طرفيها ومنتصفها مثلث قامت على كل زاوية منه دائرة اخرى صغيرة. اما بقية المساحة فلم يتم استخدامها بالشكل الذي يشعرنا بأهميتها كما لم يتم التعامل معها بشكل يلفت وجودها.

١٣- مجلس العدل - المسرح التعليمي

تأليف: توفيق الحكيم

تمثيل: حسام جويلس، جلال الدويك، عدنان ابو سنينة

النص وحده كفيل بأن يدفعك للضحك حتى تستلقي على ظهرك، والمقولة التي تحتويها تتأكد جملة اثر جملة وفعلا اثر الاخر، فالمسرحية مليئة بالافعال المسرحية من البداية حتى النهاية، والترجمة الحرفية لها تؤدي الغرض من العرض، اذا ما كان هذا الغرض هو الاضحاك، ولكن!!.

اين العناصر الفنية الاخرى التي يجب ان توجد في اي عمل حتى يكون عملا فنيا متكاملا، او حتى يكون عرضا مسرحيا لا نصا يقرأ على الجمهور.

لقد خلت المسرحية من كافة تلك العناصر باستثناء التمثيل الذي تراوح بين محاكاة لاسلوب المسرح التجاري المصري وبين محاولة لقراءة النص، واعتقد ان نفس النص وبنفس الممثلين اذا ما تم تسليمه لمخرج متمرس ومتمكن من الصنعة المسرحية فانه سيتحول الى عمل مسرحي متكامل يحقق النجاح المطلوب ويحدث التأثير المرجو.

*****

تلك هي الاعمال التي عرضت في مهرجاننا الاول، وعلى الرغم من كافة الملاحظات فانها تشكل جميعا ودون استثناء اعمالا نعتز بها كعاملين في الحركة المسرحية الفلسطينية وعن طريقها نسعى الى تطوير قدراتنا وطاقاتنا التي لا تقل عن مثيلاتها في الوطن العربي والعالم.

وان ما يميزها جميعا هو اعتمادها على التجريب اسلوبا في التناول المسرحي في

Digitized by Birzeit University Library

غالب الاحيان، وعدم التزامها باسلوب مسرحي دون غيره، فقد تجد في المسرحية الواحدة خليطا منوعا لاساليب مختلفة تشكل في النهاية عملا صادقا يعبر عن طاقات العاملين وقدراتهم ويؤكد على رغبتهم في الاستمرار بتأدية رسالتهم.

لقد قدمت عروض المهرجان في الفترة الواقعة بين ١٩٩٠/١١/٢٧ وحتى ١٩٩٠/١٢/٢٠ بواقع عرضين لليوم الواحد، كما تضمن المهرجان مجموعة من المحاضرات واللقاءات المتعلقة بالمسرح وعلاقته بكل من الصحافة والموسيقى والنقد والتراث والفن التشكيلي، مما خلق حالة من النشاط المسرحي واكد على رغبة شعبنا بالحياة رغم المعاناة والقمع الذي يتعرض له يوميا. ففي الوقت الذي كان يسقط فيه الشهداء كان الفنانون المسرحيين يعرضون مسرحياتهم والام يعتصرهم، ولكن اصرارهم على مواصلة الحياة والرغبة في اشاعة الامل جعلتهم يقفون على خشبة المسرح مقدمين مساهمتهم المتواضعة في خدمة شعبهم وخدمة قضيتهم العادلة.

٦٦ مليون أمي عربي عام ٢٠٠٠

حذرت الدكتورة سوسن عثمان عميدة معهد الخدمة الاجتماعية في مصر، رئيسة مؤتمر «الامية في الوطن العربي» من استمرار الارتفاع في نسبة الامية في مصر، وقالت ان العدد الاجمالي للاميين في العالم العربي سيبلغ حوالي ٦٦ مليون نسمة في العام ٢٠٠٠ (الحياة، ٩١/٢/١٠).

واكدت الدراسات المقدمة للمؤتمر التي اعدها معهد الخدمة الاجتماعية، ان نسبة الامية بين الاناث المصريات تبلغ ٦١،٨ في المئة في مقابل ٣٧،٨ في المئة بين الذكور، كما بلغت النسبة الاجمالية لعدد الاميين في مصر ٤٩،٤ في المئة بين الجنسين.

مسرح الورشة الفنية يقدم:

مينودراما

عبد الله الكبير

يعتبر مسرح الورشة الفنية من اقدم الفرق المسرحية والتي تأسست من قبل مجموعة مجربة من الفنانين أمثال جورج ابراهيم، علي الحجاوي، عماد مزعرو، اسماعيل الدباغ، وللوا زيادة، وبخروج جورج ابراهيم وعلي الحجاوي لتشكيل مسرح جديد مسرح القصبة، يبقى في فريق الورشة الفنية كل من عماد مزعرو واسماعيل الدباغ وللوا زيادة.

وقد تميز فريق الورشة الفنية بعدة اعمال كان ابرزها «كاتولوجاء للكاتب العالمي البير كامو، وها هي مجموعة الورشة الفنية تعود لتقدم عملا، انسانيا عالميا جديدا مقتبسا عن قصة مذكرات مجنون للكاتب العالمي نيقولاي غوغول.

وقد اعد العمل مسرحيا الفنان عماد مزعرو واخرجه الفنان اسماعيل الدباغ، وقدم العمل الفنان عماد مزعرو في «مينودراما» وتحكي المسرحية، حالة صراع دائم مع شخص مثقف طموح يتطلع نحو التغيير، يمر في حالة حصار دائم ما بين المجتمع وبين العادات والتقاليد، وبين الازمات العاطفية. والحرمان من الحب والحنان وابسط القواعد الانسانية، هذا الانسان يفكر بسلسلة من الطموحات وتحقيق الذات، ولكن الذين حوله يحاولون احباطه والحط من قدرته واخفاق انجازاته، وتشكل مجموعة هذه الضغوطات عاملا مساعدا لتدفع به الى الجنون القريب، يتناوله بمنظار او باسلوب مكابر، مثلا يتخيل انه يحب ابنة المدير، وانها تحبه وتموت فيه، وان مجموعة الموظفين يحسدونه على انجازاته، لا يستطيعون انجازها او التفكير فيها، ويبدأ يبنناء اسوار من الوهم، فيتخيل انه ملك اسبانيا العظيم، ويفسر دخوله الى مستشفى الامراض العقلية، قصور ملكية وانه خليفة ملك اسبانيا، ويرى المجانين شعب يقف بانتظاره، وبعد كل هذه المتاهات والازمات النفسية، ويصل الى مرحلة اللانهاية، يبدأ التفكير بالهروب والاستغاثة لانقاذه من هذا الوضع من خلال امه والمناجاة ويطلب من امه ان تنقذه موجها حواره لها باللغة العامية.

«ياما صبي دمعة من عينك على راس ابنك الموله شوفي كيف يضربوني، شوفي كيف يصبوا الماء البارد على راسي، خذوني يا امي ضميني اشفقي على ابنك اليتيم انا مطارد ليس لي احد في هذا العالم».

ردود الفعل تباينت حول العمل، فريق فهم النص بطريقته وعلى طريقته واعجب بمستوى الاداء والاخراج، ويمثل سواد

Digitized by Birzeit University Library

الحضور وفريق تذبذب بين رافض للعمل ومقلل من اهميته بدعوى غموض النص، ونحن لم نعط بعد رأينا حتى يقدم الفريق عروضه الاخيرة ليتجاوز الفريق بعض نقاط غموضه ليستقيم العرض في صورته الاخيرة، ونكتفي هنا بلقاء الفنان عماد مزعرو معد النص وممثله الوحيد:

* ما هو تقييمكم لهذا العمل بين الاعمال المماثلة «مينودراما» لازم اضوي لصقر السلايمة؟.

** لكل فنان اسلوبه وطبيعة المسرحية وطبيعة الدور يختلف من فنان الى آخر، انا اتحدث عن مذكرات مجنون، ومقر يتحدث عن العجز، وليس هناك تشابه بين عمل عبد الله الكبير ولازم اضوي الا في نوع العمل من الناحية الدرامية كمينودراما، وظاهرة العجز عند كلا البطلين.

* هل ترى ان هذا النمط من الاعمال يلقى تقبلا لدى جمهور المسرح؟.

** انا تحدثنا عن جمهور المسرح، ليس هناك جمهور مسرح بمعنى الكلمة هناك شريحة من الناس تحت اسم حضور المسرح، هذه الشريحة يتلون تفاعلها بين القبول والرفض، بين المشاهدة للاداء او دغدغة الاداء لداخله، وهذا يعود الى اتقان الاداء وقوة الاخراج، كافة هذه العوامل، سواء اكان مينودراما او دراما، يقوم بها ممثل واحد او مجموعة ممثلين. الا ان نمط المينودراما على الغالب يكون عملا شاقا وليس سهلا لان على الممثل ان يقنع المشاهد بادائه لهذا العمل الذي يقوم فيه من تمثيل شخصيات او استحضار شخصيات لاقناعه بضرورة فهم الفن الذي يطرحه.

* ما هي الملاحظات التي ابداها المشاهدون لعروضك السابقة؟

** بعد عرض الافتتاح في ٦/٨ قدمنا عرضا يوم ٦/١٤، وكان يهمني رأي الجمهور العادي، ولا يعني هذا انني لا اهتم بالمثقفين او الذين لديهم فهم اولي للمسرح، البعض من الجمهور العادي اعجب بالعمل واخذ ما يريده من المسرحية، بعضهم قال: «انه قدم لنا تجربة اعتقالية فريدة من نوعها لم تحكى قبل هذه المرة، وبعض الناس قالوا لم نفهم شيئا، واحدهم يرى انه يجب ان تكون هناك رقابة حتى تشطب مثل هذه الاعمال في الوقت الذي كنت اتوخى من الناس المثقفين الذين يفترض انهم يعرفون النقد الموضوعي في الكتابة ان يكونوا على مستوى النص، كمعرفة في كاتب القصة غوغول وان يخلعوا النظارات السوداء التي يحملونها على عيونهم ليشاهدوا الاعمال بوضوح اكثر.

* ما ردك انت على هذه الاقوال؟.

** ردي يتلخص في ثلاث حالات وليس مطلوبا من كل مشاهد ان يقرأ القصة الاصلية، ولكن حبذا لو ان هذا التقليد موجود في بلادنا وحسب معرفتي في الدول المتقدمة، يتم مشاهدة العرض من المهتمين بالاعمال المسرحية، ويتناول النص قبل تجريحا وتجنيا على النقد والحركة المسرحية، ولا يقصد صاحبه الا محاولة عرضه، ويحضرون العرض الاول للاطلاع على العمل بشكل عام وفي المرة الثانية للمتعة الفنية، وبعدها سيكون حرا بأي كلمة يكتبها ضد الممثل او النص، عندنا للاسف الشديد فان المثقفين يختررعون ويفترضون، احكاما مسبقة، ويتحدثون عن المسرحية للوهلة الاولى، ويتناولون العمل المسرحي بانتقاداتهم سلبا او ايجابا، هنا من الناحية الموضوعية مرفوض تماما لان لا توجد لدى اي ناقد او كاتب تلك العبقرية التي يستطيع من خلال عرض واحد الحكم على العمل المسرحي.

* هل وجهت للمخرج ملاحظات معينة؟

** شخص واحد وجه انتقادا عابرا مرتجلا عاما للمخرج لا يستند الى اية قواعد نقدية، ونحن لا نعتبره نقدا بل نعتبره الاحباط ويتمثل هذا الانتقاد في عبارة تخرج عن منطق اللباقة والعرف، حيث طلب من المخرج التوقف عن الاخراج وعدم تكرار محاولته ثانية دون ان يذكر عناصر الخلل او الضعف في الاخراج، وهي طبعا احكام مزاجية عامة تعود بنا الى عصر الجاهلية في نقد الاعمال الابداعية حيث الحكم المرتجل المزاجي العام وغير المحدد.

Digitized by Birzeit University Library

* كيف تقيم مستوى الحضور كما ونوعا لعامكم الجديد؟

** في الافتتاح كان الحضور وافرا غير انه تراجع للاسف الشديد في العرض الثاني وهذا يعود الى مجموعة عوامل عديدة، ومنها اننا لسنا متفرغين للمسرح، وكنا سابقين ولم نجد المساندة، فافلسنا ماديا ولم نستطع مواصلة اعمالنا، ولجأنا الى العمل سعيا وراء لقمة العيش كباقي ابناء شعبنا، والعامل الاهم من وجهة نظري هو حملة التشهير والتحريض ضد فرقة مسرح الورشة الفنية، التي اسست بالجهد والتعب والعرق والتطوع، وهذا يعود طبعا الى اننا نحمل وجهة نظر مخالفة لما يسمى برابطة المسرحيين الفلسطينيين.

* ما هي الخلافات بينكم وبين رابطة المسرحيين الفلسطينيين؟

** باختصار شديد نرى ان رابطة المسرحيين ولدت ولادة قيصرية والسبب في ذلك يعود الى نمط من الطقوس تتمثل ان لكل فئة رابطة ولهذا جاءت رابطة المسرحيين دون دراسة، بوصاية وتعيينات ورتبت بحبكة محكمة، غير انها لم تهتم بكافة الفرق المسرحية، وعن عمد جرى استثناء بعض العناصر العاملة في مجال المسرح منذ عام ١٩٧٤ ليومنا هذا مثل اسماعيل الدباغ الذي ترك الرابطة بسبب ممارستها اللاديمقراطية، وعادل الترتير ولؤاز زيادة ولكرم المالكي ومايكل مسيس ويعقوب اسماعيل وغيرهم كثيرون.

* ما هي برامجكم المستقبلية؟

** سنواصل عروض مسرحية عبد الله الكبير في مناطق مختلفة، ونقوم بالتحضير لمسرحية دمى للاطفال نفكر بانجازها في نهاية شهر آب القادم، وقد وضع لها الفنان مصطفى الكرد الحانا تتناسب مع اغانيها.

*****

من يملك المغرب

ابعدت السلطات الفرنسية في مطلع اواخر الشهر الماضي الكاتب المغربي، عبد المؤمن ديوري، الذي اتخذ من فرنسا ملجأ سياسيا، الى الفاتيون وكانت السلطات المغربية اكدت (يوم ٦/٢٤)، ان لا شأن لها بالموضوع.

وملابسات عملية ابعاد الكاتب المغربي لا شك انها تعود الى ضغوط مغربية اثر الكتاب الذي اصدره المؤلف تحت عنوان «من يملك المغرب» ويكشف عن مصادر ثراء الملك المغربي الحسن الثاني.

ويؤكد الكتاب الذي من المتوقع ان يصدر قريبا في فرنسا ان حوالي (١٥) مليون دونم اراض زراعية تعود ملكيتها الخاصة للملك الحسن الثاني، وان الملك المغربي يعتبر من اكبر تجار المخدرات في الدول الغربية».

● الحسن الثاني ●

● عبد المؤمن ديوري ●

وكان الكاتب المغربي ديوري قد اكد في مقابلة مع صحيفة «كاميير ٥١٦» الاسبانية ان الملك المغربي يمتلك ربع الاراضي الزراعية في المغرب و (٢٠) الف دونم اراض وعرية في البرازيل التي من المطروض تحويلها الى منطقة سياحية.

واضاف الكاتب ديوري ان الملك الحسن الثاني يملك اكثر من الفي فيللا في ولاية كاليفورنيا ويقدر ثمن كل فيللا بمليون دولار.

«ويتمتع» الملك الحسن الثاني بـ (٢٧٠) من ارباح شركة «اونا» من اكبر الشركات المغربية المستقلة، وهي تحتكر تصدير الذهب والفضة والنحاس والفوسفات من المغرب بالاضافة الى الاسهم في شركات السياحة وبيع السيارات وفرع البناء. كما يسيطر على (٢٤٠) من اسهم البنوك الثلاثة الكبيرة في المغرب.

والفضيحة الكبرى هي ان الملك المغربي يعتبر من اكبر تجار المخدرات في الدول الغربية حيث يقيم في قصره مختبرا كبيرا لتنقية الكوكائين.

ويعتبر الكاتب ديوري (٥٣ عاما) من المعارضين لنظام الملك الحسن الثاني، ولجأ الى فرنسا في العام ١٩٧٤ وكان النظام الملكي حكم على الكاتب المغربي بالاعدام بتهمة التمرد على الملك الا انه تم الافراج عنه تحت الضغط والاحتجاج الدوليين.

وكان ديوري قد اصدر كتابين اخرين يفضح فيهما النظام الملكي المغربي.

Digitized by Birzeit University Library

مسلسل الوسية
وقصة التحدي المكتوب بالجبين

ماجدة موريس

اذا كان القدر هو التحدي المجهول (في رواية أخرى، المعلوم) الذي يواجهه الكثيرون كالعقبة التي تحدد مصائرهم، فان هذا الرجل صنع قدره بنفسه متحديا كل نوعيات التعسف والاضطهاد والعنف منذ الطفولة، وليصنع من حياته مسيرة كفاح رائعة، ليست فريدة او أسطورية لأن من المؤكد أن لها مثيلاء بلا مثائل عديدة، ولكنها مضيئة بما يكفي لتضيء للآخرين، وخالدة لأنه خلد من خلالها كل الشرفاء والضعفاء في الارض بتخليده لنفسه لأننا في بلادنا العربية نسينا الشرفاء المكافحين في غمرة انشغالنا بصنع التماثيل لقوادنا وحكامنا وكبرائنا.

ومن ناحية أخرى، فان قصة حياة الشاب خليل بطل المسلسل التليفزيوني (الوسية) تقدم للمرة الأولى في تاريخ الدراما التلفزيونية العربية دراما (الترجمة أو السيرة الذاتية) من خلال النص الأدبي لصاحبها ثم حضوره تحويلها الى نص مرئي وإشرافه اللصيق بالعمل حتى خرج للملايين وهو ما فعله د. خليل حسن خليل، مؤلف الرواية التي تحولت الى عمل درامي اوسع انتشارا على يد كاتبة سيناريو جديدة هي يسر السيوى في عام ١٩٨٤، وهو عام صدور الرواية ذاتها، ولكنها عجزت عن الخروج بعملها الى دائرة التنفيذ، هي والمؤلف، الى أن تحمس لها المخرج اسماعيل عبد الحافظ بعدثلاثة أعوام، وبعد ثلاثة أخرى بدأ تنفيذها لتعرض في أبريل من العام السابع لصدورها على شاشة التلفزيون المصري، وبرغم هذا التعطيل فانها بالقياس الى غيرها قد تعد رواية محظوظة، حيث لا يتاح لمثلها بسهولة النفاذ الى الشاشة الصغيرة لأسباب عديدة أولها ان مؤلفها مجهول لدى المسئولين عن الجهاز الحريصين على شراء قصص اعمالهم من دائرة مغلقة لبعض الأسماء (إحسان عبد القدوس - نجيب محفوظ - ثروت أباظة) وما عدا هؤلاء استثناءات بلا رؤية محددة لواقع الأدب المصري وأجياله، وثانيها أنها - أي رواية الوسية - تدور في اجواء حزن وكآبة وهو ما تصدر (التوجيهات الاعلامية) بتجنبه من وقت لآخر، وبين توجيه وآخر تتواجد فترة من الزمن تستطيع الأعمال غير المتفائلة المرور منها وهو ما حدث مع هذا العمل الذي أعقب عرضه تعليمات محددة للمسؤولين عن السياسات الاعلامية (الوزير ورئيس اتحاد الأذاعة والتلفزيون باشاعة روح المرح والتفاؤل فيما يقدم من أعمال درامية على الشاشة الصغيرة، وبشكل قاطع جعل المسؤولين التنفيذيين يضعون مسلسلا استعراضيا بطولة نيللي اسمه (حبيبي الذي لا اعرفه) في اليوم التالي مباشرة لانتهاء (فوازير رمضان) التي قدمتها نفس النجمة على مدى ٣٠ يوما كاملة...

وربما تكون ضرائب الاسعار الجديدة، قد صادفت نفس وقت صدور تعليمات (إشاعة المرح والتفاؤل عند المشاهد)، لكنها على ما يبدو إن لم تكن مقصودة بعد نهاية أحداث الوسية فانها ساهمت في امتداد الحزن من الشاشة لخارجها وهو ما دعا لتغيير (السياسات الاعلامية) سريعا حتى يتغلب الناس على (أحزان الأسعار الجديدة) بمرطبات درامية، ولكن هيهات، فهذه أيضا مشكلة فكتابتها وتنفيذها واخراجها، أصعب ألف مرة في ظروف المناخة العامة.

تعيد (الوسية) المشاهد الى عالم لم تعد الشاشة الصغيرة ترتاده كثيرا هو عالم الاقطاع والقهر الذي وقع على الفلاح المصري من الحكام والطبقات العليا في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، ولكن مصدر

Digitized by Birzeit University Library

الظلم هنا لم يكن الباشوات الاتراك والمصريون وانما الاجانب اليونانيون والارومان وغيرهم أصحاب الوسايا. وقد كان هذا الجانب شبه مجهول لدى المشاهد المصري المعتمد على ثقافة التليفزيون الى أن رأى حياة الفتى خليل في وسية الخواجا تاكى فمن هو خليل هذا؟

في عام ١٩٢٤ ولد الطفل خليل حسن خليل بقرية الرباعى مركز كفر صقر بمحافظة الشرقية لأب من عائلة كريمة، كان عمدة محبوبا لصلاحه وكرمه ثم فقد أرضه على يد خواجا يوناني تاجر قطن توصل بالتحايل الى نزع ملكية الأب وبالتالي عاد معدما ثم قضى سنوات في السجن لتبديده بعض الحبوب "المرهونة" بعنزله في نفس الوقت الذي تم فيه فصل ابنه النابغة التلميذ خليل من آخر سنوات التعليم الابتدائي بسبب المصاريف المدرسية، رغم أن المجانية كانت من حقه لأنه الأول دائما، لكن الناظر طرده من موقع طبقي بغيض. بعدها اضطر الفتى الى العمل أجيرا في وسية الخواجا التي ضمت أرض أبيه وأراضي الآخرين من الصباح للمساء مقابل قرش واحد يعول به امه واخواته الاربعة حتى خرج الاب من السجن لينضم الى الاجراء هو الاخر.. وظل الفتى سنوات يعمل بيده حتى اكتشف الخواجة ذكاءه وثقافته فأوكل اليه الأعمال الادارية والحسابية للوسية، وبنفس الاجر، غير أن رياح الثورة والتمرد كانت قد تمكنت منه، ليس بسبب هذه العبودية، وإنما من أجل استكانة مواطنيه لها وخضوعهم للخواجة وتقزيفهم همهم، في بعضهم البعض، ولكن نفوسهم المعذبة تستجيب لتحريضه لهم على المطالبة بباقي أجورهم التي ينهبها الخواجا فتكون المأساة مضاعفة حيث تأتي قوات الداخلية لتناصر الخواجا ضدهم وتعذب بعضهم مما جعل الفتى يفر للقاهرة من هذا الظلم، وهناك تطوع في الجيش ليجد مكانا ولقمة وليبرز أيضا وليصبح عقله اليقظ وكراسته سببا في تجديد متاعبه فينقل من مدرب للجنود الجدد بعد تفوقه في مدرسة الجيش الى مراسلة "للقائد وهي مهمة كان يبغضها لاهدارها لكرامة الجندي (ما زالت مستمرة)، ويتقلب خليل بين شطئان التفوق والمتاعب والفقر والحلم وأزمات الوطن على يد الانجليز المحتلين والملك وحاشيته وقد وضع أمامه التعليم كبوصلة تهديه عند الشدائد، وظل هكذا حتى تخرج وهو صف ضابط في كلية الحقوق بأعلى تقدير عام ١٩٤٩، واعتقد ان متاعبه قد انتهت بعد المؤتمر الصحفي لوزير الحربية يومها والذي أعلن فيه إعجابه به كجندي نموذج ومساعدته له مستقبلا، لكن الوعد كان قد ذاب مع صباح اليوم التالي عندما ذهب يطلب تعيينه في وظائف النيابة والقضاء الخالية فاذا بحائط مغلق أسمه الطبقية أمامه، فهذه "وظائف أولاد الأصول.. وذوى المكانة الاجتماعية" ووسط ظلام الاحباط، جاءه شعاع ممثلا في د. طه حسين، وزير المعارف وقتئذ الذي وعده بالحصول على البعثة الى انجلترا، ما دام يستحقها، ووفى بوعده وسافر الفتى ليحصل على الدكتوراه وليصبح بعدها أحد خبراء التنمية والتخطيط للامم المتحدة ثم مديرا لادارة الشؤون الاقتصادية بالجامعة العربية حتى ١٩٨٣، والآن استاذا غير متفرغ للاقتصاد بجامعات مصر. وقد كتب د. خليل قصته أثناء عمله بدالكار عام ١٩٨٢ كخبير دولى ونشرها عام ١٩٨٤ وأختيرت لتكون أفضل رواية عربية لهذا العام، وبعد هذا التاريخ كتب الجزء الثاني بعنوان (الوارثون) عن الحياة في مصر بعد ثورة ١٩٥٢ وحتى وفاة عبد الناصر، في محاولة للاجابة على سؤال هو (هل تغير المجتمع المصري بعد الثورة تغيرا حقيقيا انتهت معه عصور الوسايا؟، أما الجزء الثالث وعنوانه (السلطة) فلم يصدر بعد، والذي يتناول فترة حكم السادات والتحول الاجتماعي بعد الانفتاح الذي أثر على قدرات ملايين المصريين.

الاحزان... وحيوية شعب

لأن هذا الحديث عن صاحب الرواية هو حديث عن صلب الحلقات التلفزيونية نفسها حتى وصل بطلها الى بر الأمان "لأول مرة في حياته على يد د. طه حسين في نهاية

Digitized by Birzeit University Library

الاربعينات وحيث تتوقف أحداث (الوسية) بمشهد مؤثر لأفراح القرية كلها وأشواقها المتدفقة بعد طول حرمان احتفالا بأول نفر «ومنها يكسر حاجز القدر» و «المكتوب» ويقطف ثمرة جهده. وقد نجحت معدة الحلقات يسر السيوى في الحفاظ على الملامح الاساسية للدراما التي تؤكد على مبدأ ثنائية الكفاح والقهر وتنويعاتها بين الفرد والمجموع) طوال مسيرة البطل منذ الطفولة، وجاء تفسير المخرج اسماعيل عبد الحافظ للنص الدرامي ليؤكد وعيه الكبير بقضايا الارض والفلاح والصراع الطبقي، وهو الوعي الذي كشف عنه مبكرا منذ اعماله الأولى للتليفزيون، والذي يجيد تصويره وتقديمه بدون الانزلاق في حالات التزييف أو «غش الوعي»، وتلك منزلقات يقع فيها عادة مخرجون كبار لكن بعيدين عن الوعي بقضايا مصر الكبرى، ومن الغريب، أن تزييف الوعي هنا قد يصل الى مدى آخر هو الاعتقاد بأن ما قدمه المسلسل فيه الكثير من المبالغة والميلودارمية وهو ما وقع فيه عدد - من الكتاب والمثقفين ولكن المشكلة هي أن هؤلاء أنفسهم أصبحوا لا يريدون المزيد من «وجع القلب» حتى لو كان حزنا نبيلا خلاقا كحزن الفقراء من أهل (الوسية)، وهو حزن دافع للتقدم وليس للتأخر يضع يده بوضوح على مفاتيح التخلف، التي وإن تجددت اشكالها اليوم، إلا أنها ما زالت تعمل على قهر الاغلبية من الشرفاء الباحثين عن الحق والعدل في مجتمعهم، فاذا كان اخواجا «تاكي» هو الذي فرض علاقات القهر في الماضي قد رحل، فما زالت علاقات القهر قائمة في البنيان الاقتصادي حتى اليوم تدفع الفلاح الى الخروج بحثا عن عمل في الخليج أو العراق أو أي أرض يطأها، ومهما قيل عن اختلاف «درجة» الشقاء بين الماضي والحاضر إلا أن المعنى يظل واضحا حتى اليوم وهو افتقاد أهل الوسية للأمان الاقتصادي، وكذلك الأمن السياسي والاجتماعي الذي افتقده الناس وما زال قائما في أشكال عديدة في ممارسات أجهزة البوليس والحكومة، وما زالت التجاوزات ضد البسطاء تشكل العمود الفقري لشكاوي المصريين المرة.

وعلى مستوى آخر، فاذا كانت مجانية التعليم قد أصبحت امرا واقعا بعد ثورة يوليو فان احفاد د. خليل يعانون اليوم من الباب الخلفي للمجانية أي الدروس الخصوصية الاجبارية التي تقلل ابواب التكافؤ، ومع هذه الجراح التي فتحها المسلسل يثبت أنها لم تلتئم تماما في الحاضر، فانه قد قدم لنا تأكيدا على حتمية.. الكفاح من خلال السلبيات، لندرك في النهاية أن حركة الصراع السياسي والاجتماعي في مصر تمتلىء بالصفحات التي لم يكشف عنها بعد كما أن سجلات الثوار والمتمردين مليئة بأبطال مغمورين مثل هؤلاء الذين سجلهم تحالف «تاكي» مع السلطة في المسلسل، وأن تلك التغييرات التي اسفرت عنها هذه الحركة بل الحركات هنا وهناك لو لم تحدث تغييرات واسعة بمقياس مسيرة الأمم المتقدمة الا أنها نذير حيوية شعب ورغبته في التغيير وهو ما بدا في الحلقات الاخيرة من المسلسل التي استعرضت تركيبة الجيش المصري القديمة وكيف كان للضباط الاتراك فيه نفوذ حاسم اعتمادا على أصول العائلة المالكة، وكيف نقل أحد الضباط المصريين عقابا له على اختلافه مع أحد (الاومباشية) مما اعتبر تحديا لطبقة الضباط (النبلاء) وهو تحد خاضه الفتى خليل أو فرض عليه فرضا أثناء محاولته للتقدم، وفي كل مرة كان يهزم بسلاح الضبط والربط العسكري أي النقل.. بلا كلمة احتجاج واحدة.

المؤسسة العسكرية لاول مرة

ومن الغريب أن العلاقات داخل القوات المسلحة وبين أفرادها، بالرغم من حدوثها في الماضي الا أنها تقدم على شاشة التلفزيون المصري الاول مرة منذ انشائه عام ١٩٦٠، وبعد تاريخ حافل من الأعمال الدرامية، وقد كانت هذه الاجزاء من أهم الاجزاء التي تعرض لها المسلسل ضمن ما تعرض لأنها جددت أسئلة كثيرة في الصدور حول دور القوات المسلحة وتنظيماتها المحاطة بالسرية دائما، وحول ممارساتها وكشفت عن أزمة معرفية تخفى قطاعا هاما في حياة بلد تعرض لحروب عديدة متقاربة في تاريخه الحديث، ولقد جاء تعرض المسلسل لحدث هام مثل حرب فلسطين باهتا بالقياس لتعرضه للاوضاع داخل الجيش ومن خلال مشهد للاومباشي خليل يعاني من إحباط هائل بسبب الأسلحة الفاسدة.

ومن ناحية جديدة، فان خليل، ربما يصبح هو البطل الدرامي الوحيد بين ابطال الدراما التليفزيونية والسينمائية العربية الذي ينحدر من أصول كادحة ويتحمل (عناء الاغلبية) بدون قفزات درامية ترفيهية تخفف من وطأة معاناته، وانا كان الوسية هو مسلسل عن وجه من الكفاح الشعبي، فان رحلة خليل من القاع الى القمة هي نموذج للكفاح الفردي ضد عناصر الضياع والسحق العمومية عبرها من الوسية الأولى في القرية الى (وسايا) عديدة قابلها في طريقه في العاصمة وكلها تنويعات على وسية اكبر كان الملك صاحبها شخصيا في ذلك الوقت، وهو ما يضيف اطيافا من المرارة على المشهد الكبير لمعنى الفرح بحصول الشاب على حقه في المشهد النهائي وفرحة قريته العارمة به، فهل، حقا، هناك معنى «للفرح» بخلاص «فرده» وسط بقاء الاغلبية في القاع؟ ولعل الرد هو أن فرحة هؤلاء أنفسهم هي ابلغ تعبير عن نفاذ شعاع

Digitized by Birzeit University Library

ما من خلال عتق أحدهم من الفقر والجهل والعرض.

بقيت كلمة حول اختيارات الممثلين المعبرين عن هذا العمل، فقد حقق الممثل الساعد أحمد عبد العزيز نجاحا نادرا في التعبير عن روح ورؤية د. خليل وقبله الطفل أحمد عزت لمدة ثلاث حلقات، وطوال ١٩ حلقة قدم أحمد عبد العزيز أداء رصينا من الداخل يعكس فهمه بل حبه للشخصية وتمكنها منه، كذلك جسد عبد الرحمن أبو زهرة دور الشيخ سالم شيخ خفراء الوسية بنفسيته المعقدة المداهنة للاسياد بوعي تام ومقدرة عالية وبنفس الوعي قدم حمدي أحمد دوره كفلاح ينتقم من الخواجا بتحليل الظلم والسرقة وخداع النفس، وبنفس هذا الوعي قدمت محسنة توفيق والمرسي أبو العباس وسناء يونس ادوارا هامة في حياة البطل أما محمد الدفراوي فبرغم أدائه الطبيعي في دور «حسن» والد خليل ألا انه كان غير مقنع بتكوينه الجسماني والشكلي لأن يكون معدما، وأجيرا وملطشة للزمان. أما مفاجأة الوسية فقد كانت الممثل محمود حميدة الصاعد سريعا الى «النجومية» في السينما وليس التلفزيون، وقد ادى دور الخواجا "تاكي" باسلوب مختلف تماما عن خواجات السينما والمسرح المصري وبشكل يعكس ثقافة واحساسا عميقا بالقضية كلها بينما عجزت جالا فهمي عن الالتقاء مع دورها كراقصة يونانية معتزلة. وتمسك اسماعيل عبد الحافظ بالمنهج الواقعي الصارم في اخراجه للوسية حتى في التصوير، والاضاءة اللذين ساهما مع ديكور سيد أنور في تجسيد بعد هاما للدراما، ومع ذلك، ومع ابتعاد المخرج عن استخدام لقطات الزوم المكبرة بكثرة، وابتعاده عن عصبية انتقالاته سواء داخل اللقطة الواحدة أو بين اللقطات، بسبب حماسه لاستمرارية تدفق الايقاع فلم يضر هذا المسلسل وانما كان اكثر لياقة لموضوعه وأصدقائه، وأكثر بساطة في التعبير عن عالم البسطاء..

عن مجلة "اليسار" المصرية
العدد ١٦/حزيران/١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

حبة مطر

صفاء عصمت

فتح الباب بحذر، صانعا شقا رفيعا راح ينظر من خلاله. كانوا لايزالون يقيمون هناك، على مقربة من بيت الشهيد. وسع الشق قليلا، حتى اصبح يتسع لجسده، وانسل خارجا برفق ... خوفا ان يلمحه احد منهم. الا انه فوجيء بصوت غاضب يأمره بالدخول فانتفض وارتد بسرعة الى الداخل ... مغلقا الباب خلفه، واذا به يكتشف انه لم يكن سوى صوت ابيه :"يا ولد ... قلت لك الف مرة، لا تقترب من الباب ... اتريد ان توقعنا في مصيبة. هيا اذهب والعب مع اختك».

كانت امه قد حملته عدة مرات من امام الباب الى غرفته، واضعة امامه كل الالعاب التي في البيت، حتى دمية اخته التي كانت تخبئها منه خوف ان يكسر اطرافها - كما كان يحلو له دائما ان يفعل - وضعتها امامه، ورجته ان يلعب ولا يحاول الخروج مرة اخرى.

توجه الى المطبخ، جر كرسيا وقربه من الطاولة حيث وضعت امه وعاء العجين. معد عليه، ووقف يراقب حركات يديها:

- "امي ... لماذا لا تعجنين الا في (منع التجول)؟.

"ها قد افتتح اسئلته التي لا تنتهي" فكرت ثم اجابته دون ان تنظر اليه:- "لأنهم يمنعونا من الخروج لشراء الخبز».

- "انا لا اخاف من الجنود ... هل تخافين انت منهم؟".

- "لا".

- "لكن ابي يخاف منهم".

توقفت يداها عن العجن والتفتت اليه: "من قال لك ذلك؟"

- "لا احد. انا اعرف لوحدي".

- "لا تقل ذلك مرة اخرى. ابوك لا يخاف ... هيا انزل عن الكرسي واذهب الى غرفتك.".

نزل عن الكرسي، دفعه الى مكانه. ثم وقف بمحاذاة ساقها، ورفع رأسه اليها :- " امي ... لماذا يفرضون (منع التجول)؟.

- "لأن هناك شهيد".

- "اعرف، اعرف ان هناك شهيد ... اسمه نضال، ولكن لماذا يفرضون منع التجول حين يكون هناك شهيد؟".

- "(وبعدين)!! انتزعت اصابعها من العجين بعنف، ثم ثنت جذعها قائلة:- "اسمع ... انا مشغولة ... اذهب وأسأل اباك".

خرج من المطبخ، لكنه لم يرغب ان يسأل اباه. فقد تذكر كيف صرخ به بالامس حين سأله بعض الاسئلة: "لقد مللت الجلوس في البيت ... فقط من اجل اسئلتك!".

"لماذا صار ابي يغضب ويصرخ دائما ... لم يعد يضحك ويلعب معنا مثل السابق".

توجه الى غرفته، واقترب من اخته التي كانت مشغولة باللعب: "انها الوحيدة التي يمكن ان اسألها دون ان تطردني او تصرخ في وجهي...".

كانت تتطوع دائما لاجابته على جميع الاسئلة التي تحيره، مهما كانت صعبة، حتى لو اضطرت ان تخترع الاجابة من مخيلتها. وكان يصدقها في كل ما تقوله، لاعتقاده ان من يذهب الى المدرسة يصبح عارفا كل شيء.

- "سوسن ... اتعرفين لماذا يفرضون (منع التجول) حين يكون هناك شهيد؟".

- "نعم ... لانهم يخافون ان نخرج من بيوتنا وننتقم منهم".

- "هل قالوا لك ذلك في المدرسة؟".

- "لا. انا عرفت لوحدي".

- "ألهذا صرخوا بي بالامس حين رأوني امام الباب؟".

- "نعم. انهم يخافون ان تضربهم بالحجارة.".

"ابي يخاف منهم ... وهم يخافون مني!" فكر وهو يخرج من الغرفة، متجها الى الباب مرة اخرى. رفع ذراعيه عاليا، واسند بالمقبض ... فشعر بشيء خشن يلامس اذنه. التفت واذا به امام ركبتي والده. خفق قلبه، وتراخت ذراعاه ساقطة الى جنبه ببطء.

- "آه لو اعرف ماذا يوجد في الخارج ... ليجعلك تصر على الخروج الى هذه الدرجة؟".

- "اريد ان ... احضر ... شيئا من الساحة".

- "وما هو هذا الشيء؟" - سأل وهو يمسح بعض البخار المتراكم على زجاج النافذة ليتمكن من رؤية الساحة - "آه ... انها الكرة، اليس كذلك؟ ها هي هناك".

- "قلت لك لن تلعب بها داخل البيت" خاطبته امه، وقد اقبلت تجفف يديها بالمنشفة. ثم ألقت بالمنشفة جانبا، ثم اقتربت من الباب وادارت المفتاح

Digitized by Birzeit University Library

دورتين الى اليسار.

-"اسمح ... احضر لي (الجريدة) من غرفتي. انها على السرير" خاطبه ابوه، وهو يمدد جسده على الكنبة الطويلة قرب الباب.

"منذ الامس وهو يقرأ نفس الجريدة - فكر وهو يتجه الى غرفة والده - مرة يقول لي احضرها من على السرير- ومرة من على الكنبة ومرة من المطبخ ..." - تذكر فجأة ان امه خرجت من المطبخ، فاسرع اليه وهو يتمنى ان يكون بابه المفضي الى الخارج مفتوحا - "ان يحس بي احد، سوف اخرج واعود بسرعة". لكنه فوجيء بالباب محكم الاغلاق.

-"الم تجدها؟ قلت لك انها على السرير" أتاه صوت ابيه غاضبا فأسرع الى الغرفة، احضر الصحيفة، وناوله اياها.

"الى متى سيظل هنا، يحرس الباب؟ - تساءل وهو يراقبه - سأنتظر ربما يغفو على الكنبة كعادته".

اطمأن لغفرة نوم ابيه، فعاد الى غرفته حيث كانت اخته ماتزال منهمكة باللعب. اقترب منها وجلس الى جانبها:-

-"اتعرفين ان الشهيد كان صديقي؟".

-"انت تكذب، انه اكبر منك، كيف يكون صديقك!".

-"والله، كان يأتي ويلعب معي بالكرة في ساحة بيتنا. واحيانا كان يحضر لي بعض الحلوى، اجلس انا لاكلها ... وهو يلعب بكرتي حتى يتعب ... امس كان عندي في الساحة، قبل ان يموت ...

-"يا (اهبل) الشهيد لا يموت، انه يصعد الى السماء".

-"من قال لك ذلك؟ المعلمة؟"

-"لا. انا اعرف لوحدي".

صمت برهة وهو ينظر الى السماء عبر زجاج النافذة المغلقة.

ثم عاد يسأل وهو لايزال محملقا: "يعني هو صعد مثل نقطة الماء التي حكيت لي عنها؟".

-"نعم نعم. نقطة الماء التي لا تموت. بل تصعد الى السماء وتتحول الى غيمة. ثم بعد ذلك تمطر حبات كثيرة من المطر".

-"وهل سيتحول (نضال) الى غيمة؟".

-طبعا. وسيمطر ايضا".

-"وماذا سيمطر؟" سأل بصوت لا يكاد يسمع.

-"سيمطر اولادا مثله".

-"لكن الن (تتطبش) رؤوسهم حين يقعون على الارض؟".

-"لا. لانهم سينزلون على شكل حبات من المطر، حين تصل هذه الحبات الى الارض، يخرج مكان كل واحدة ولد".

-"ومتى سيحدث ذلك؟".

نظرت الى السماء نظرة عرافة خبيرة، ثم عادت الى اللهو بلعبها - كما تعود العرافة الى معالجة نارها او تحريك قدرها - واجابت بثقة:- "ربما اليوم او غدا. لكنك لن تراهم بسبب منع التجول".

ظل قابعا مكانه دون حراك، يتخيل كيف تكون الارض حين ينبت منها الاولاد. الى ان قامت اخته وخرجت من الغرفة فلحق بها الى الصالة ...

لم يكن ابوه حيث كان على الكنبة، بل كانت امه مكانه تنسج الصوف. اقترب منها وجلس الى جانبها. لاحظت شروده فمسحت على شعره وسألته:- "ماذا بك؟".

-"امي ... متى ستمطر السماء اولادا؟".

-"ماذا؟ من قال لك ذلك؟".

-"سوسن".

-"آلا زلت تكذبين عليه - صرخت بها - اذا حاولت اخافته مرة اخرى سوف اضربك، هل تفهمين ... لا تصدقها يا حبيبي، انها تمزح معك" ضمته الى صدرها للحظات، ثم عادت الى نسج الصوف. فقام هو ووقف على الكنبة ليصل الى النافذة. راح يمسح البخار باصابعه عن جزء صغير من ماسحة الزجاج. وعبر الدائرة الصغيرة التي رسمها .... استطاع ان يراهم: لو استطيع الخروج ..." انهم لايزالون هناك ... والكرة ايضا، مازالت مكانها قرب الحجر ... لو استطيع الخروج ..." التفت الى امه المنهمكة في نسج الصوف - وقد ظن انها جلست خصيصا لتحرس الباب بدل ابيه - ثم عاد الى الزجاج يرسم عليه بعض الخطوط

نظرت اليه امه، واصابعها لازالت تتحرك بآلية. الا انها ما لبثت ان توقفت فجأة حين انفتح لها الرسم.

-"ما هذا؟" سألت وهي تلقي بخيطان الصوف جانبا.

-"انها الخارطة ... خارطة بلادنا الا تعرفيها؟".

-"من علمك رسمها؟".

-"(نضال) الشهيد!".

وقفت تنقل بعدها بعينة وبين الرسمة. ثم اتجهت الى الغرفة بسرعة لتدعو والده قبل ان تختفي معالم الرسمة. فنزل بسرعة عن الكنبة واقترب من الباب. مد ذراعه نحو المقبض بعد ان ادار المفتاح دورتين الى اليمين.

قفز فرحا حين مار في الخارج. ثم ركض الى الساحة، حيث كانت الكرة تستند الى الحجر، تناول الحجر فتدحرجت الكرة نحو الشارع. لم يأبه بها، بل وضع الحجر في جيبه وعاد مسرعا الى البيت.

اغلق الباب خلفه، وتوجه الى الدرج الداخلي المؤدي الى السطح، حيث صعد واخرج الحجر من جيبه، قاذفا اياه بكل ما اوتي من قوة، محاولا ان يوصله الى حيث كانوا يقفون، على مقربة من بيت الشهيد.

رفع رأسه ينظر الى السماء، حين شعر بنقطة ماء بللت انفه. ثم هبط الدرج وهو ينادي ويصيح مبتهجا: "سوسن ... سوسن ... لقد بدأت غيمة نضال تمطر ...!!!".

Digitized by Birzeit University Library

من الادب الاجنبي

العاشق الجبان

قصة بقلم الكاتب الفرنسي الشهير: جي دي موباسان
ترجمة: حسين قباني

ما اعجب الذكريات القديمة... انها تتشبث بعقولنا، وتحفر نفسها في اعماق صدورنا، فلا نستطيع نسيانها على مر الايام.

لقد مرت في حياتي احداث كثيرة، بعضها سار، وبعضها اليم، وبعضها رهيب، ولكن حادث الام كلوشيت - رغم بساطته - بقي دائما يطفو على سطح ذكرياتي، حتى انه لم يمر بي يوم الا تذكرت فيه الام كلوشيت.

كنت في نحو الثانية عشرة من عمري حين كانت تتردد على منزلنا في صباح كل يوم خميس لترتق ملابسنا... وكنا نقيم يومذاك في بيت ريفي كبير بالقرب من كنيسة القرية، وكانت الام كلوشيت تحضر عادة في نحو السابعة صباحا، وتقضي اليوم كله في رتق ملابس الاسرة واصلاحها. وكانت سيدة عجوزا، عرجاء، نبتت حول انفها، وفي مواضع متفرقة من وجهها، خصلات صغيرة من الشعر النامم، تبدو في جملتها اشبه باللحية... كما كان حاجباها الغزيران اشبه بشاربين ضخمين وضعا خطأ فوق عينيها بدلا من شفتيها.

على اني كنت احب الام كلوشيت هذه، وكانت هي تبادلني هذا الحب، فتقص علي انباء القرية وطرائفها، وتخمضني بقطع من الحلوى تحملها دائما في جيوب ثوبها.

وحدث ذات صباح ان جاءت على عادتها يوم خميس، ورافقتها على عادتي في الغرفة التي تجلس فيها لرتق الملابس لاستمتع باحاديثها وحلواها، وشد ما كان فزعي اذ وجدتها منكفئة على وجهها بجانب مقعدها، وقد بسطت ذراعيها والابرة لا تزال بين اصابعها... واقبل والداي مسرعين على الصرخات التي اطلقتها، وما كادا يريان ذلك المنظر الرهيب حتى تملكهما الاسف، ثم سارعا الى دعوة طبيب البلدة العجوز، ففحص الام كلوشيت في اقل من دقيقة، ثم اعلن وفاتها بالسكتة القلبية. وهنا لم اتمالك نفسي من فرط التاثر وهرعت محزونا الى غرفة الجلوس حيث القيت بنفسي على مقعد وثير في ركن مظلم بها، واطلقت لدموعي العنان.

وبعد فترة وجيزة اقبل الى الغرفة والداي ومعهما الطبيب، وجلسوا يتحدثون بينما هو يتناول ما قدم له من الشراب، ويبدو ان احدا من الثلاثة لم يلحظ وجودي في ذلك الركن المظلم من الغرفة... وهكذا اتيح لي ان اعرف قصة الام كلوشيت.

قال الطبيب العجوز:

- مسكينة هذه الام كلوشيت... لقد كسرت ساقها بعد يومين من وصولي الى هذه البلدة... وما زلت اذكر هذا الحادث الذي غير مجرى حياتها وكأنه حدث امس، مع انه مضى عليه الان ما يزيد على اربعين عاما.

"يا لله مما تفعل الايام!... ترى هل يصدق احد انها كانت يومئذ، اي وهي في السابعة عشرة من عمرها، جميلة فاتنة، ممتلئة الجسم، فارعة القوام، ساحرة النظرات! انني لم احدث احدا بقصتها... ولا يعرف هذه القصة غيري الا شخص واحد يقيم بمكان بعيد!

"كانت كلوشيت في صباها تعمل مدرسة للحياكة، في مدرسة مسيو جاربو بهذه البلدة، وكان لها بالمدرسة زميل شاب يدعى "سيجبرت"... وكان هو الاخر وسيم الطلعة، ساحر النظرات، جذاب الحديث مما جعل فتيات البلدة يحلمن بالزواج منه، ولكنه ظل لا يحفل بواحدة معينة منهن، الى ان راى كلوشيت - زميلته - فاعجب بها، وراح يبثها غرامه، ويسكر في اذنيها الفاظه العذبة الجميلة، مؤكدا لها انها وحدها التي اثرها بحبه... وهكذا كان طبيعيا ان بادلته الحب، وهي فرحة فخورة، ثم قبلت آمنة مطمئنة ان توافي في الموعد الذي ضربه لخلوتهما الاولى في غرفة الاستراحة الكبيرة بالطابق الثاني من المدرسة بعد انصراف المدرسين والتلاميذ!

" وفي الموعد المحدد، تظاهرت كلوشيت بالتأهب لمغادرة المدرسة، ولكنها بدلا من مغادرتها صعدت الى الطابق الثاني، حيث اختبأت في غرفة الاستراحة الكبيرة، ولم يلبث زميلها الشاب ان لحق بها وهو يرتعد خوفا من ان يلمحه المسيو جاربو، صاحب المدرسة وناظرها. وقد وقع ما كان يخشاه، فما كاد العاشقان يلتقيان، حتى فتح باب الغرفة فجأة، واطل منه المسيو جاربو صائحا: "ماذا تفعل هنا يا سيجبرت؟!".

فقال الشاب مرتعدا: "انني استريح قليلا يا مسيو جاربو".

ثم همس لكلوشيت قائلا: "يجب ان تختبئي وراء الاريكة الكبيرة... هيا اسرعي!".

ويبدو ان الناظر سمع ذلك

Digitized by Birzeit University Library

الهمس، لكنه لم يستطع ان يتبين احدا في الغرفة التي سادتها ظلمة المساء، فاكتفى بان صاح بالمدرس الشاب مرة اخرى قائلا "من معك يا سيجبرت انك لست وحدك!". ولكن سيجبرت سارع الى محاولة نفي هذا الخاطر جاهدا عن ذهن المسيو جاربو، مؤكدا انه وحده في الغرفة.

فقال له هذا:

"حسنا!... لسوف ارى بنفسي!"... ثم اغلق باب الغرفة بالمفتاح من الخارج، ومضى لاحضار قنديل يفتش - في ضوئه - جوانب الغرفة!

"ولما كان الشاب سيجبرت جبان القلب كامثاله من محترفي الغرام - سرعان ما فقد السيطرة على اعصابه، فاشتد اضطرابه، وشحب وجهه، وقال لكلوشيت بصوت مرتعد: "اخبئني تحت الاريكة بربك يا كلوشيت... لو عثر جاربو عليك هنا لطردني وحرمني من رزقي... فان هذه الفضيحة ستدمر مستقبلي كله!"

فقالت الفتاة في هدوء: "لو اعلنت له رغبتك في الزواج مني..."

ولكنه قاطع كلامها قائلا: "كلا!... ليس هذا هو الوقت المناسب للتفكير في الزواج... أه... انني اسمع وقع اقدامه... اختبئي... اسرعي بالله!".

فنظرت الفتاة اليه في احتقار شديد وقالت له: "لا اختبئ... ولكني سأقفز من النافذة"... وكل ما أرجو منك ان تحضر بعد انصراف جاربو وتحملني الى حيث اسعف بالعلاج!"

"وفيما كان المفتاح يدور في ثقب الباب، كانت كلوشيت قد وثبت من نافذة الطابق الثاني الى الطريق الزراعي الذي يمر بالجهة الخلفية من المدرسة!... وهكذا لم يسع ناظر المدرسة الا ان يعود من حيث اتى وهو لا يخفي دهشته من عجزه عن العثور على شخص آخر بالغرفة.

"وهرع سيجبرت الى منزلي، وطلب مني ان اتوجه معه لانقاذ زميلته المدرسة الشابة، وبرغم الامطار الغزيرة التي كانت تنهمر في تلك الليلة الباردة، مضيت معه مسرعا الى ما وراء المدرسة، وهناك وجدنا الفتاة المسكينة راقدة بجانب الجدار، وقد كسرت ساقها اليمنى، ولم تلفظ الفتاة بكلمة حين حملناها... وانما تمتمت اثناء الطريق قائلة:

"لقد نلت جزائي... نعم... هذا جزاء كل عذراء تحب شابا عابثا".

"واذعنا في البلدة ان كلوشيت اصيبت في حادثة مركبه، وان سائق المركبة الجبان فر بمركبته تاركا ضحيته في عرض الطريق!. وامن الجميع بهذه الاكذوبة البيضاء، بل لقد بذل رجال البوليس جهودهم للقبض على سائق المركبة المزعوم!.

"وتقدم سيجبرت للزواج منها بعد ان اصبحت ذات عاهة ستلازمها مدى الحياة... ولكنها رفضت في اصرار... رفضت لعلمها انه لم يتقدم للزواج منها الا بدافع الشفقة والرثاء... ولعل حبها له كان قد تحول الى احتقار شديد عندما رفض ان يعلن رغبته في الزواج منها امام المسيو جاربو وتحداه ان يضحي بنفسها لانقاذه!

"ولقد ضحت كلوشيت بنفسها حقا لانقاذ مستقبله... بل ضحت بمستقبلها وبسعادتها في الحياة، وماتت عذراء وحيدة، لا يكاد يبكيها او يرثيها احد!"

قصص قصيرة

لسمير رنتيسي

صدرت في مطلع هذا الشهر مجموعة قصصية جديدة للكاتب "سمير رنتيسي" بعنوان "الخروج الى الافران الكبرى"، وقد جاءت المجموعة في ثماني قصص قصيرة عالج خلالها الكاتب موضوعات من الواقع الفلسطيني المعاش في الاراضي المحتلة خلال الاعوام القليلة الماضية. وأبرز الكاتب في قصصه أشكال وأصناف المعاناة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة جراء استمرار قمع الانتفاضة والآثار التي ترتبت على هذا الواقع المعاش جراء حرب "الخليج" وباسلوب سخروي لاذع ودعا الكاتب ضمن اهداء المجموعة الى تأسيس أكاديمية للمعاناة الفلسطينية تعمل على فضح أشكال المعاناة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

اصيخوا السمع واغتسلوا بعاركم:

عيس بنارة

اصيخوا السمع واغتسلوا بعاركمْ
فلن يجديكمُ وطنٌ على طبقِ
ولن يجديكمُ وطنٌ بلا اذنٍ ولا عينِ
بلا نزفٍ ولا ثُكلٍ ولا شجنِ
...
اصيخوا السمعَ واغتسلوا بعاركمُ
فلن يأتيكمُ الزيتون محمولاً على كفِ
ولن ينضجْ لكم عنبٌ
هجرتم خيلَكمْ زمنا
الى ان هدّها الزمنُ
فكيف نعودُ نلقاكمْ
وفي ايديكم سيفٌ من الخشبِ
وفوق رؤوسكمْ تاجٌ من الكذبِ
وما جُبتُمْ سوى ارضٍ بُوارٍ في منافينا
فلا سَمعٌ
ولا بصرٌ
ولا خيلٌ
ولا سيفٌ
ولا ابلٌ
...
اصيخوا السمعَ واسترقوا
بريقَ العين من امجدْ
وغذّوا «الحَرب» بينكمُ
فلن يأتي لكمْ وطنٌ بلا قيدِ
وسوف تظلُّ خيمتُنا
رهينةَ حبّنا الأبدي
...
اصيخوا السمعَ واحتفلوا
بامجادٍ لنا كانتْ
وامجادٍ لها كُنا
وصولوا حيثُما صُلتُم
فهذا العالم الافاقُ يعرفكمْ
ويعرف انكمْ هِمَمٌ
وما عادت لكم قوّةْ
فكيف احاورَ السّجانَ في سجني
واشعلُ شمعتي في ظلمةِ الليلِ؟
وكيف اسير في درب الردى طوعاً
بلا نارٍ ولا امل؟
وكيفَ اعود منتصراً
على مَن زيّف التاريخَ
فوق جماجم الشهداء من وطني؟
...
توحّدنا صلاةُ العشق والثورةْ
توحّدنا حجارتُنا
تحرّرنا حجارتُنا
فمن دمنا نصوغُ الشمسَ والقمرا
ومن الافِ قتلانا وجرحانا واسرارنا
نصوغُ الجمر والمطرا
...
توحّدنا صلاةُ العشق والثورة
وتزرع في جوارحنا الهاً واحداً احدا
به امنتُ لا أُشركُ به احدا
به امنت لا اشرك به احدا
به امنتُ لا أُشركُ به احدا

Digitized by Birzeit University Library

تمخضت الصحراء فأنجبت مسخا

خالد علي/ الناصرة

في السابع عشر من كل شهر
ينزل القمر على بغداد
يطوف الشوارع
يضمد الجروح
يواسي الثكالى
يولد الحبالى
يزرع الورد والنخيل،
على ضفاف دجلة والفرات
يحدث الاطفال عن تاريخ العرب والبطولات
يحدثهم عن قصص الف ليلة وليلة
وعن قصص الاربعين ليلة

في السابع عشر من كل شهر
... ينزل القمر،
يبحث بين الانقاض،
عن حضارة العرب، ايام العرب
منذ ان كان يسكن العربي الخيام
يسامر الليل والنجوم
منذ ان انجبت الصحراء،
الشعراء والادباء والخلفاء
منذ ان كان لها راحلاتها، واحاتها، نخيلها
عذاراها، خيامها ورجالها

في السابع عشر من كل شهر
... ينزل القمر على بغداد،
يختفي بين النخيل...
يتمتم بطلاسم وتعاويذ...
وتزاوج العرب الغرب...
وانجاب مسخ جديد

ورد... نخيل... خيل... ملاحم،
وجيل يبحث عن عروبته... يجيل قادم،
وجيل يسأل الصحراء،
لمن الابار النفطية؟
للعرب البائدة للعرب العاربة! للاشوريين! للبابليين!
لقبائل قيس! لقبائل يمن! للامويين! للعباسيين! للوهابيين!
لمن هذه الابار؟

يستيقظ ابن ربيعه شيخ الغزل،
ليتغزل بأبراج الصحراء العارية، والواحات السوداء،
وينهض ابو النواس ليحتسي كأسا من السلافة المعتقة،
فتنفجر الامعاء،
ويستيقظ البحتري، والمتنبي، وابن خلدون، والجاحظ، وأبو العلاء،
ويزدحم سوق عكاظ، بالعرب والغرب،
بالشعراء والخطباء،
يلقون خطبهم الحماسية...
يقدمون خيولا،
ويأخرون خيول...
وعلى قرع المزاهر والطبول
... يختلط الحابل والنابل،
وتشتبك القبائل،
وتنهض من سباتها
... "داحس والغبراء"
وتمتزج الالوان،
الجنسيات، القوميات...
والهمة العربية
ويحتكر المسخ الجديد
... أبار النفط العربية.

ورد... نخيل... خيل... ملاحم
وجيل يبحث عن عروبته
... بجيل قادم.

Digitized by Birzeit University Library

نحو قارىء مغاير ...

وسيم الكردي

منذ ان اطلق شاعرنا محمود درويش صرخته «رحمونا من هذا الحب القاسي» وحتى يومنا هذا، حدثت تغييرات جوهرية في البنى الثقافية الفلسطينية لم يلحظها الا قلة من الناس، ومع ذلك بقيت الذهنية العربية عموما متشحة بالتعميم، والاطلاق، فمن حالة العشق الوله لادبنا الفلسطيني في الداخل الى حالة النفور منه، والذريعة مختلفة في الحالتين، ففي الاولى اندفع العشق مؤسسا على السياسي والمقاوم، وفي الثانية تحقق النفور مؤسسا على غياب «الادبي» في نص الداخل، والحكمان في الحالتين تعوزهما الدقة، كما تعوزهما الرؤية الفاحصة المدققة، حيث يتم اجترار حكم اطلاقي، يتحول مع الثرثرة الى قاعدة يتم الاستناد عليها كلما دار الحديث عن الادب المحلي، فيقال بأنه نص ملتبس بالايديولوجي، خطابي، مباشر، ينطق الواقع ولا يستنطقه، وقد ننخدع بالمقولات هذه حين نرى كما هائلا من الادب المنشور لا تتوفر فيه صفات الصنعة الادبية في الحد الادنى، ويغيب عنا بأن الابداع هو انتاج النخبة المميزة التي تحاول ان تجد مكانا لها في زحمة العادي، والمألوف، والمكرر الذي يستملحه الناس لانطباقه مع واقعهم، فلا يهشم القائم، ولا يستدعي الغائب، ولا يبعث الدهشة، ولا يطرح التساؤل ولا يستفزه.

ان ادراك الفاعلية الثقافية واثرها، في فعلها او في تبلدها، تستدعي النظر في معادلتين اثنتين، الاولى: الكاتب/النص، والثانية القارىء/النص: ففي الوقت الذي تتحول فيه الكتابة الابداعية لتصبح خطابا خاليا من «الادبية»، خطابا يستند الى الايديولوجيا، ليقول اي شيء ما عدا الادب، يتمظهر التخلخل، ويتحدد في ان الكاتب لا يمتلك ادوات الكتابة الابداعية، التي هي اول شرط من شروط الابداع، ففي غياب الصنعة، يتقهقر الخطاب الادبي ليحل محله خطاب من جنس آخر، وذلك ناجم عن غياب المعرفة او ندرتها او تشوهها ...، وغياب الخبرة او تواضعها او تسطحها ...، ولذا فان «الاجتماعي السياسي» يحملان هذا الخطاب قسرا، ليفرضاه على انه «خطاب ادبي»، ويترسخ هذا الفرض حين يغيب «القارىء/الناقد».

واذا ما ادركنا ان النص الادبي لا يحقق وجوده الفعلي دون تحقق اللقاء بين النص وقارئه، تبدو المسألة اكثر وضوحا، لان فاعلية الادب تتجسد حين يتجلى هذا الالتقاء.

والالتقاء متعدد الاوجه، متدرج المستويات، فمنه ما يساهم في تكريس الحالة القائمة، كمن يغيب النص ليتجه نحو المؤلف او المجتمع، دون وضع النص في سياقاته الادبية، التي تحمل في داخلها الخطاب الاجتماعي، دون ان تكون في ذاتها خطابا اجتماعيا ... . او كمن يتجه الى النص شارحا ومفسرا له باستبدال كلمات النص بكلمات اخرى، او حين يكرر الكلمات تكرارا فجا وساذجا، وهنا لا يؤخذ من النص سوى الظاهري وما يطفو على سطحه، وهاتان القراءتان تجعلان من النص مادة استهلاكية لمن يتلقاه بهاتين الطريقتين اللتين تحولان المتلقي الى قارىء سلبي لا يساهم في اعادة انتاج النص وابداعه.

اما القارىء الايجابي فهو القارىء القادر على وضع النص في سياقه الادبي، ويقوم باستكشاف ما يبطنه النص، وما يحمله في ثناياه من ايحاءات واشارات واحالات ... ويقوم كذلك باستحضار الغائب، فلكل نص مكتوب نص غائب، مطالب القارىء باستحضاره، وقد تتعدد الاستكشافات والتأويلات والرؤى وهنا ناتج عن تنوع الخبرات، والثقافات، والمعارف، غير انها تبقى في السياق الادبي، ولا تخرج عليه لتصبح قراءات من نوع آخر.

وكل قارىء ممتلك لحصيلة ثقافية واجتماعية ونفسية، تساهم بفاعلية في كيفية القراءة، وكلما تطورت هذه الحصيلة واغتنت، كلما تعمقت فاعلية القراءة، ويصبح القارىء قادرا على استقراء النص في فضاء اكثر اتساعا، يمنحه مزيدا من الحرية في رؤية النص، واستبطانه، وتحليل علاماته، ودلالاته، ويساهم في كتابتة مرة ثانية، بافق ابداعي، ولا يغدو وعاء تسكب فيه النصوص.

Digitized by Birzeit University Library

القمر المبعد

للفنان الفلسطيني

طالب الدويك

Digitized by Birzeit University Library

ذكريات من سويتو!

ماجد ابو غوش

... وكان الناس في (سويتو) يلزمون بيوتهم من مغيب الشمس الى شروقها وينامون والخوف على فراش واحد.

وكان موج البحر يسير وحيدا على الرمل وتحت النوافذ المغلقة خائفا من الاحذية الثقيلة واللكنة الغريبة ومحاكم التفتيش، وكان القمر يبحث في الطرقات الموحلة والازقة المعتمة عمن يخبىء له الحكايات والفراشات الملونة!

وكان الجوع يتسلل الى العيون من شقوق الابواب والجدران المتداعية و (الاجراءات الروتينية) للقيمين على الارواح والارزاق وأوقات التنفس والنوم والذهاب الى (الدورات الصحية)، كان الجوع يتسلل الى العيون من الاسلاك الشائكة والبطاقات الخضراء أو الممغنطة وحظر التجول!

وكان الصيادون يخرجون مساء الى البحر يثيرون مواسم الصيد ويغيرون مواسم السلطان ليصارعوا الموج وحراس السلطان طوال الليل ليعودوا صباحا ببعض السمكات الصغيرة يوزعونها على البيوت التي غاب رجالها عنها وعنهم!

وكان اليوم في (سويتو) يتكون من ست ساعات والاسبوع من ستة أيام وكانت أيام (سويتو) لا تخلو من مناسبة أو ذكرى فهذا يوم الشهيد وذلك يوم الاسير ويوم الارض ويوم للاضراب الشامل ويوم للتصعيد ويوم للكر ويوم للفر.

وكان الله يترنح على العرش يسبح بتلك الايام وأسماء الشهداء، وكانت عيناه تقطر بالدم، وبالدمع وبالوردات!

وكان الموت يترصد للناس خلف الابواب وخلف الاسلاك وفي الشارع وأينما وجهوا أنظارهم واينما ساروا وأينما حطوا، كان الموت رفيقهم الدائم يتبعهم مثل الظل او مثل اللعنة أو مثل الماعز تلحق ناي الراعي!

وكان الشعراء يرسمون قصائدهم على الجدران وعلى الحجارة الصغيرة وعلى جذوع النخلات وأعشاش العصافير كان الشعراء يخبئون نبوءاتهم في عروق الكرمة المتفجرة بالدم والنبيذ!

وكان عمال (سويتو) يتجمعون في مكان يطلق عليه (سوق العبيد) يأتي اليهم الباحثون عن عمل رخيص فينتقون أشدهم بأسا وأقلهم مشاكسة... ويسوقونهم الى التعب!

وما زالت (سويتو) ملأى بالفقراء وضامري البطون والاطفال الصغار المرأة والبيوت المتسخة بالسواد، وما زالت (سويتو) تنام على شاطىء البحر تصغي لغناء موجه والنوارس وتحلم بالغد الآتي!

Digitized by Birzeit University Library